

المأتم الحسيني
مشروعيته وأسراره

تأليف
السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (قدس سره)

تحقيق
فارس الحسون

سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت عليهم السلام (٤١)
إعداد
مركز الأبحاث العقائدية

ص: ٣

فهرس المطالب

مقدمة المركز

تمهيد

مقدمة

المطلب الاول: فى البكاء

المطلب الثانى: فى رثاء الميّت بالقريض

المطلب الثالث: فى تلاوة الاحاديث المشتملة مناقب الميت ومصائبه

المطلب الرابع: فى الجلوس حزناً على الموتى من أهل الحفائظ والايادى المشكورة

المطلب الخامس: فى الاتفاق على الميت فى وجوه البرّ والاحسان

فصل: ماآتمنا المختصة بسيد الشهداء

بكاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على الحسين (عليه السلام) فى مصادر العامة

بكاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على الحسين (عليه السلام) فى مصادر الشيعة

إقامة الائمة (عليهم السلام) المأتم على الحسين (عليه السلام) وحث أولياؤهم على ذلك

حجية أقوال الائمة (عليهم السلام) فى رجحان إقامة المأتم

حديث الثقلين

نظائر حديث الثقلين

حديث السفينة

سيرة أئمة الهدى (عليهم السلام) القطعية في إقامة المآثم

نوح الجن ورثاء الطير وبكاء الوحش...

إبك لبكاء الشمس والقمر

فصل: أسرار مآثمنا المختصة بأهل البيت (عليهم السلام)

ما كان ليزيد أن يرتكب ما ارتكب لولا ما مهّده سلفه

لولا ما بذله الحسين لامسى الاسلام خيراً من الاخبار

لولا ما تحمّله الحسين ما قامت لاهل البيت قائمة

علم الامام الحسين بما سيجرى في كربلاء

ص: ٥

مقدمة المركز

إن الحسين (عليه السلام) ليس حُكراً على الشيعة فحسب، وإن مأتَمه (عليه السلام) ليس من مختصات الشيعة، كما قد يظنّ البعض ذلك.

بل الحسين (عليه السلام) حسين جميع المسلمين، والآخرى أن يكون حسين جميع الانسانية.

وإنّ مأتَم الحسين (عليه السلام) ومأساته جرح ما زال لم يندمل ومصاب لا زال المسلمون يأنّون من ألمه حتّى يأخذ الله تعالى بثأره (عليه السلام).

من الحسين (عليه السلام) ومأتَمه استلهم الشيعة درس التضحية لاجل العقيدة والدفاع عنها.

من الحسين (عليه السلام) ومأتَمه استلهم المسلمون درس التضحية فى سبيل البحث عن العقيدة الحقّة ؛ لان المأتَم الحسينى يجعل النفوس ملتهبة بالعواطف النقية، فتكون النفوس عندئذ أقرب ما تكون لاستماع الحقيقة والتجرد عن التعصب.

ص: ٦

من الحسين (عليه السلام) ومأتَمه استلهم جميع بنى آدم درس الانسانية والرجوع إلى الفطرة.

بالحسين (عليه السلام) ومأتَمه يمكن تبديد غيوم العصبية وغبار الجهل والافلات من الوقوع فى براثن الفتن وتيارات الضلال.

وبالحسين (عليه السلام) ومأتَمه يمتلك الانسان القدرة على اجتياز الطريق الشائك لمعرفة الحق، وتحطيم عقبة (إنّا وجدنا آباءنا على هذا وإنّا على آثارهم مقتدون).

لان الحسين (عليه السلام) حسين الله، ومأتمه مأتم أمر الله عز وجل بإحيائه.

لان الحسين (عليه السلام) حسين الحق، ومأتمه درس للوصول إلى الحق.

لان الحسين (عليه السلام) حسين المصطفى (صلى الله عليه وآله)، ومأتمه مأتمه.

لان الحسين (عليه السلام) حسين على وفاطمة وأهل البيت (عليهم السلام)، ومأتمه مأتمهم.

لان الحسين (عليه السلام) حسين الانبياء والمرسلين (عليهم السلام)، ومأتمه مأتمهم.

ص: ٧

لان الحسين (عليه السلام) حسيننا جميعاً، ومأتمه مأتمنا.

وقسماً بالله الذى لا إله إلاّ هو، إن البشرية لو عرفت الحسين (عليه السلام) على حقيقته لاسلمت عن بكرة أبيها، إلاّ من كان قد تخلّى منهم عن إنسانيته.

وكذلك لو عرف المسلمون الحسين (عليه السلام) على حقيقته، لاهتدوا بهديه واتبعوا نهجه وركبوا سفينة النجاة وما تركوا أهل البيت (عليهم السلام) طرفة عين، إلاّ من كان منهم وفى قلبه مرض.

وعليه، فإنّ مسؤولية أتباع الحسين (عليه السلام) تتضاعف فى إيصال حقيقة الحسين (عليه السلام) وأهمية إقامة مأتمه إلى الجميع، ليؤدّى كلّ منهم هذه المهمّة على قدر وسعه.

وهذا الكتاب المائل بين يدي القارئ العزيز، وإن كان صغيراً فى حجمه، إلاّ أنّه عظيم فى محتواه، قد جمع بين دقّتيه على اختصاره زبدة ما يتعلّق بمشروعية المأتم وأساراه.

وهو بقلم علّم الاعلام وسيّد السادات - الذى اهتدى أكثر من اهتدى إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بسبب كتابه

المراجعات - آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي رضوان الله عليه.

وهذا الكتاب في الواقع هو مقدّمة كتابه «المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة» الذي أحرّقه الأيدي الاثيمة، ومابقى منه سوى المقدمة التي قمنا بتحقيقها والتعليق عليها وإخراجها بهذا الكتاب الذي سمّيناه «المآتم الحسيني مشروعيته وأسراره»، ليكون الكتاب الثاني من «سلسلة الكتب الاهدائية» المخصّصة لرواد المركز من المشتركين والمساهمين في المسابقات الهادفة، وذلك لإيجاد ثقافة علمية عقائدية لمجتمعاتنا المؤمنة التي نأمل منها كل الخير في نشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ودرء الشبهات عنه.

مركز الأبحاث العقائدية

فارس الحسون

[تمهيد]

الحمد لله على جميل بلائه وجليل عزائه، والصلاة والسلام على أسوة أنبيائه، وعلى الائمة المظلومين من أوصيائه، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، فهذا كتاب (المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة)(١)، وضعته تقرباً إليهم في الدنيا، وتوسلاً بهم

(١) آلفه فى أربع مجلدات ضخمة، تضمّت سيرة النبى (صلى الله عليه وآله) وعترته (عليهم السلام) وحياتهم وبعض خطبهم.

وقال عنه المؤلّف (قدس سره): «كتاباً اجتماعياً سياسياً عمرانياً، من أحسن ما كتب فى الإمامة والسياسة».

وكان (قدس سره) قد كتب له مقدمة حول مشروعية أصل المأتم وأسراره، طبعت قبل طبع الكتاب، وهذه المقدمة هى كتابنا الحاضر الذى سمّيناه «المأتم الحسينى مشروعيته وأسراره».

وأما أصل الكتاب، فقد أعدّه المؤلّف للنشر، ولكن شعلّة الحرب العالمية الاولى حالت المؤلّف عن طبعه، حتّى أصبح هذا الكتاب ومؤلفاته الاخرى - ما يقرب من ثلاثين مجلداً مخطوطاً كلها بقلمه الشريف - طعمة حريق سلطة الاحتلال الفرنسى، حيث سلّطت النار على داره فى شحور، وبعده احتلّت داره الكبرى فى صور وأبيحت للايدى الاثيمة سلباً ونهباً.

ص: ١٠

فى الاخرة، سائلاً من الله سبحانه أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، إنه الرؤوف الرحيم.

ص: ١١

الاصل العملى يقتضى إباحة:

[١] البكاء على مطلق الموتى.

[٢] ورثائهم بالقريض.

[٣] وتلاوة مناقبهم ومصائبهم.

[٤] والجلوس حزناً عليهم.

[٥] والانفاق عنهم فى وجوه البرّ.

ولا دليل على خلاف هذا الاصل، بل السيرة القطعية والادلة اللفظية حاکمان بمقتضاه، بل يستفاد من بعضها استحباب هذه الامور إذا كان الميت من أهل المزايا الفاضلة والاثار النافعة، وفقاً لقواعد المدنية وعملاً بأصول العمران ؛ لأنّ تمييز المصلحين يكون سبباً فى تنشيط أمثالهم، وأداء حقوقهم يكون داعياً إلى كثرة الناسجين

ص: ١٢

على منوالهم، وتلاوة أخبارهم ترشد العاملين إلى اقتفاء آثارهم.

وهنا مطالب:

ص: ١٣

المطلب الاول

فى البكاء

ولنا على ما اخترناه فيه - مضافاً إلى السيرة القطعية - فعل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقوله وتقريره:

أما الاول، فانه متواتر عنه فى موارد عديدة:

منها: يوم أحد، إذ علم الناس كافة بكاءه يومئذ على عمه أسد الله وأسد رسوله، حتى قال ابن عبد البر فى ترجمة حمزة من استيعابه: لمّا رأى النبى (صلى الله عليه وآله) حمزة قتيلاً بكى فلمّا رأى ما مثّل به شهق.

وذكر الواقدي - كما فى أوائل الجزء الخامس عشر من شرح نهج البلاغة (١) للعلامة المعتزلى -: أنّ النبى (صلى الله عليه وآله)

(١) فى أواخر صفحة ٣٨٧ من المجلد الثالث طبع مصر «المؤلف».

ص: ١٤

كان يومئذ إذا بكت صفية يبكى وإذا نشجت ينشج (١).

قال: وجعلت فاطمة تبكى لمّا بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٢).

ومنها: يوم نعى زيدا وذا الجناحين وابن رواحة، فيما أخرجه البخارى فى الصفحة الثالثة من أبواب الجنائز من صحيحه، وذكر ابن عبد البرّ فى ترجمة زيد من استيعابه: أنّ النبى (صلى الله عليه وآله) بكى على جعفر وزيد وقال: «أخوای ومونسای ومحدثای» (٣).

ومنها: يوم مات ولده إبراهيم، إذ بكى عليه، فقال له

(١) قد اشتمل هذا الحديث على فعل النبي (صلى الله عليه وآله) وتقريره، فهو حجة من جهتين، على أن بكاء سيدة النساء (عليها السلام) كاف كما لا يخفى (المؤلف).

(٢) وراجع أيضاً في بكاء النبي (صلى الله عليه وآله) على عمه حمزة وتحريض النساء على البكاء: مسند أحمد ٢ / ٤٠، الفصول المهمة: ٩٢، شفاء الغرام ٢/٣٤٧، ذخائر العقبى: ١٨٠، السيرة الحلبية ٢ / ٢٤٧، الروض الانف ٢٤/٦.

(٣) وراجع أيضاً: ذخائر العقبى: ٢١٨، أنساب الأشراف: ٤٣، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٦، تذكرة الخواص: ١٧٢، المعجم الكبير ٢ / ١٠٥.

ص: ١٥

عبد الرحمن بن عوف - كما في صفحة ١٤٨ من الجزء الاول من صحيح البخارى -: وأنت يا رسول الله! قال: «يا ابن عوف، إنها رحمة» (١)، ثم اتبعها - يعنى عبرته - بأخرى، فقال: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول (٢) إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» (٣).

ومنها: يوم ماتت إحدى بناته (صلى الله عليه وآله)، إذ جلس على قبرها - كما في صفحة ١٤٦ من الجزء الاول من صحيح البخارى - وعيناه تدمعان (٤).

(١) لا يخفى ما فى تسميتها رحمة من الدلالة على حسن البكاء فى مثل المقام «المؤلف».

(٢) أراد بهذا: أنَّ الملامة والاثم في المقام إنما يكونان بالقول الذي يسخط الرب عز وعلا، كالاغراض عليه والسخط لقضائه، لا بمجرد دمع العين وحزن القلب «المؤلف».

(٣) وراجع أيضاً: ذخائر العقبى: ١٥٥، سيرة ابن إسحاق: ٢٧٠، العقد الفريد ١٩٠/٣.

(٤) وراجع أيضاً: ذخائر العقبى: ١٦٦، المحلى ٥ / ١٤٥. ر

ص: ١٦

ومنها: يوم مات صبي لأحدى بناته، إذ فاضت عيناه يومئذ - كما في الصحيحين (١) وغيرهما - فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» (٢).

ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابن عمر قال: اشتكى سعد، فعاده رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع جماعة من أصحابه، فوجده في غشية فبكي، قال: فلما رأى القوم بكاءه بكوا، الحديث (٣).

والاخبار في ذلك لا تحصى ولا تستقصى (٤).

(١) راجع: صفحة ١٤٦ من الجزء الاول من صحيح البخاري، وباب البكاء على الميت من صحيح مسلم «المؤلف».

(٢) دلالة قوله: «وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» على استحباب البكاء في غاية الوضوح كما لا يخفى «المؤلف».

(٣) فراجع في: باب البكاء عند المريض من صحيح البخاري، وفي باب البكاء على الميت من صحيح مسلم، ولا يخفى اشتماله على كل من فعل النبي (صلى الله عليه وآله) وتقريره، فهو حجة من جهتين (المؤلف).

(٤) كبكائه (صلى الله عليه وآله) على عترته من بعده [المصنف ٨ / ٦٩٧، الفصول المهمة: ١٥٥].

وبكائه على عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) لما سيلقاه من بعده [مناقب الخوارزمي: ٢٤ و ٢٦، تذكرة الخواص: ٤٥].

وبكائه على الحسين (عليه السلام) لما أخبره جبرئيل بما سيجري عليه، كما سيأتي عن قريب.

وبكائه على شهداء فخ لما أخبره جبرئيل بالواقعة [مقاتل الطالبين: ٤٣٦].

وبكائه على جدّه عبد المطلب [تذكرة الخواص: ٧].

وبكائه على أبي طالب [الطبقات ١ / ١٠٥، تذكرة الخواص: ٨، تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٥].

وبكائه على فاطمة بنت أسد [ذخائر العقبى: ٥٦، الفصول المهمة: ١٣، مناقب ابن المغازلي: ٧٧، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٤].

وبكائه على أمّه عند قبرها [المستدرک على الصحيحين ١/٣٧٥، تاريخ المدينة المنورة ١ / ١١٨، ذخائر العقبى: ٢٥٨، المصنف لابن أبي شيبة ٣ / ٢٢٤].

وبكائه على عثمان بن مظعون [المستدرک على الصحيحين ١/٣٦١، سنن البيهقي ٣ / ٤٠٧].

وبكائه على سعد بن ربيع [المغازي ١ / ٣٢٩]. ر

ص: ١٧

وأما قوله وتقريره، فمستفيضان، ومواردهما كثيرة:

ص: ١٨

فمنها: ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة جعفر من استيعابه، قال: لما جاء النبي (صلى الله عليه وآله) نعى جعفر (١)، أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزاها، قال: ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: «وا عماه»، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «على مثل جعفر فلتبك (٢) البواكى» (٣).

ومنها: ما ذكره ابن جرير وابن الاثير وصاحب العقد الفريد وجميع أهل السير، وأخرجه الامام أحمد بن حنبل من حديث ابن عمر في صفحة ٤٠ من الجزء الثاني من مسنده، قال: رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أحد، فجعلت نساء الانصار يبكين على من قتل من أزواجهن، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ولكن حمزة لا بواكى له»، قال: ثم نام فاستنبه وهن يبكين حمزة، قال: فهن اليوم إذا بكين يبدأن بحمزة.

(١) هذا الحديث مشتمل على تقريره (صلى الله عليه وآله) على البكاء وأمره به، على أن مجرد صدوره من سيدة النساء (عليها السلام) حجة كما لا يخفى «المؤلف».

(٢) هذا أمر منه (صلى الله عليه وآله) بالبكاء ندباً على أمثال جعفر من رجال الامة، وحسبك به حجة على الاستحباب «المؤلف».

(٣) وراجع أيضاً: أنساب الاشراف: ٤٣، تاريخ يعقوبى ٢ / ٦٦.

ص: ١٩

وفى ترجمة حمزة من الاستيعاب نقلاً عن الواقدي، قال: لم تبك امرأة من الانصار على ميت بعد قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لكن حمزة لا بواكى له» إلى اليوم إلا بدأت بالبكاء على حمزة (١).

وحسبك تلك السيرة فى رجحان البكاء على من هو كحمزة وإن بعد العهد بموته.

ولا تنس مافى قوله (صلى الله عليه وآله): «لكن حمزة لا بواكى له» من البعث على البكاء والملامة لهن على تركه، وحسبك به وبقوله: «على مثل جعفر فلتبكي البواكى»، دليلاً على الاستحباب.

وأخرج الامام أحمد من حديث ابن عباس - فى صفحة ٣٣٥ من الجزء الاول - من مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبكاء النساء عليها، قال: فجعل عمر يضربهن بسوطه، فقال النبى (صلى الله عليه وآله):

(١) وراجع أيضاً: شفاء الغرام ٢ / ٣٤٧، السيرة النبوية ٣ / ١٠٥، الروض الانف ٦ / ٢٤، ذخائر العقبى: ١٨٣، الفصول المهمة: ٩٢.

ص: ٢٠

«دعهن يبكين»، ثم قال: «مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة»، وقعد على شفير القبر وفاطمة الى جنبه تبكى، قال: فجعل النبى (صلى الله عليه وآله) يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها.

وأخرج أحمد أيضاً من حديث أبى هريرة - ص ٣٣٣ ج ٢ من مسنده - حديثاً جاء فيه: أنه مرّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) جنازة معها بواكى، فنهرهن عمر، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): «دعهن، فإنّ النفس مصابة والعين دامعة».

إلى غير ذلك مما لا يسعنا استيفاءه.

وقد بكى يعقوب إذ غيب الله ولده (وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) (١)، حتّى قيل: - كما فى تفسير هذه الاية من الكشف - ما جفّت عيناه من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الارض أكرم على الله منه.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) - كما فى تفسير هذه الاية من

(١) يوسف: ٨٤.

ص: ٢١

الكشاف أيضاً: أنه سئل جبرئيل (عليه السلام): ما بلغ وجد يعقوب على يوسف؟ قال: وجد سبعين ثكلى، قال: فما كان له من الاجر؟ قال: أجر مائة شهيد (١)، وما ساء ظنه بالله قط.

قلت: أى عاقل يرغب عن مذهبنا فى البكاء بعد ثبوته عن الانبياء (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) (٢).

وأما ما جاء فى الصحيحين: من أن الميت يعذب لبكاء أهله عليه، وفى رواية: ببعض بكاء أهله عليه، وفى رواية: ببكاء الحى، وفى رواية: يعذب فى قبره بما نوح عليه، وفى رواية: من يبكي عليه يعذب.

فأنه خطأ من الراوى بحكم العقل والنقل.

قال الفاضل النووى (٣): هذه الروايات كلها من رواية

(١) هذا كالصریح فى استحباب البكاء، إذ ليس المستحب إلا ما يترتب الثواب على فعله كما هو واضح «المؤلف».

(٢) البقرة: ١٣٠.

(٣) عند ذكر هذه الروايات فى باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه من شرح صحيح مسلم «المؤلف».

عمر بن الخطاب وابنه عبد الله.

قال: وأنكرت عائشة عليهما، ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه، واحتجّت بقوله تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (١).

قلت: وأنكر هذه الروايات أيضاً عبد الله بن عباس، واحتج على خطأ راويها، والتفصيل في الصحيحين وشروحهما.

وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض، حتى أخرج الطبري (٢) في حوادث سنة ١٣ من تاريخه، بالاسناد إلى سعيد بن المسيب قال: لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح، فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها فنهاه عن البكاء على أبي بكر، فأبين أن ينتهين، فقال عمر لهشام بن الوليد: أدخل فأخرج إلى ابنة أبي قحافة، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من

(١) الانعام: ١٦٤.

(٢) عند ذكر وفاة أبي بكر في الجزء الرابع من تاريخه «المؤلف».

عمر: إنني أخرج عليك بيتي، فقال عمر لهشام: أدخل فقد أذنت لك، فدخل هشام وأخرج أم فروة أخت أبي بكر إلى عمر، فعلاها بالدرة فضربها ضربات، فتفرق النوح حين سمعوا ذلك.

قلت: كأنه لم يعلم تقرير النبي نساء الانصار على البكاء على موتاهن، ولم يبلغه قوله (صلى الله عليه وآله): «لكن حمزة لا بواكى له»، وقوله: «على مثل جعفر فلتبكي البواكى»، وقوله: «وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

ولعله نسي نهى النبي (صلى الله عليه وآله) إياه عن ضرب البواكى يوم ماتت رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ونسي نهيه إياه عن انتهارهن في مقام آخر مرّ عليك آنفاً.

ثم إذا كان البكاء على الميت حراماً، فلماذا أباح لنساء بنى مخزوم أن يبكين على خالد بن الوليد (١)، حتى ذكر

(١) وبكى هو على النعمان بن مقرن واضعاً يده على رأسه، كما نصّ عليه ابن عبد البر في ترجمة النعمان من استيعابه، وفي أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد قال: ولما نعى النعمان بن مقرن إلى عمر بن الخطاب وضع يده على رأسه وصاح يا أسفاً على النعمان... وبكائه على أخيه زيد معلوم بالتواتر «المؤلف».

ص: ٢٤

محمد بن سلام - كما في ترجمة خالد من الاستيعاب - أنه لم تبق امرأة من بنى المغيرة إلا وضعت لمتها - أي حلفت رأسها - على قبر خالد.

وهذا حرام بلا ارتياب، والله أعلم.

ص: ٢٥

المطلب الثاني فى رثاء الميِّت بالقريض

ويظهر من القسطلانى فى شرح البخارى (١) أنَّ الجماعة يفصلون القول فيه: فيحرمون ما اشتمل منه على مدح الميت وذكر محاسنه الباعث على تحريك الحزن وتهيج اللوعة، ويبيحون ما عدا ذلك.

والحق إباحته مطلقاً، إذ لا دليل هنا يعدل بنا عن مقتضى الاصل، والنواهى التى يزعمونها إنما يستفاد منها الكراهة فى موارد مخصوصة، على أنَّها غير صحيحة بلا ارتياب.

وقد رثى آدم (عليه السلام) ولده هابيل، واستمرت على ذلك

(١) راجع باب رثى النبى (صلى الله عليه وآله) سعد بن خولى، ص ٢٩٨ ج ٣، من إرشاد السارى للقسطلانى «المؤلف».

ص: ٢٦

ذريته إلى يومنا هذا بلا نكير.

وأبقى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه عليه، مع إكثارهم من تهيج الحزن به، وتفننهم بمدائح الموتى فيه، وتلك مراتبهم منتشرة فى كتب الاخبار.

فراجع من الاستيعاب إن أردت بعضها أحوال: سيد الشهداء حمزة، وعثمان بن مظعون، وسعد بن معاذ، وشماس بن عثمان بن الشريد، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وأبى خراش الهذلي، وأياس بن البكير الليثي، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وغيرهم.

ولاحظ من الاصابة أحوال: ذى الجناحين جعفر بن أبى طالب، وأبى زيد الطائي، وأبى سنان بن حريث المخزومي، والاشهب بن رميلة الدارمي، وزينب بنت العوام، وعبد الله بن عبد المدان الحارثي، وجماعة آخرين لا تحضرني أسماؤهم.

ودونك كتاب الدرة فى التعازى والمراثى، وهو فى أول الجزء الثانى من العقد الفريد، تجد فيه من مراثى الصحابة ومن بعدهم شيئاً كثيراً.

وليس شىء مما أشرنا إليه إلا وقد اشتمل على ما يهيج

ص: ٢٧

الحزن ويجدد اللوعة بمدح الميت وذكر محاسنة.

ولمّا توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) تنافست فضلاء الصحابة فى رثائه، فرثته سيدة نساء العالمين (عليها السلام) بأبيات تهيج الاحزان، ذكر القسطلانى (١) فى إرشاد السارى بيتين منها، وهما قولها (عليها السلام):

ماذا على من شمّ تربة أحمد أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنّها صبت على الايام صرن لياليا
ورثته أيضاً بأبيات تثير لواعج الاشجان، ذكر ابن عبد ربه المالكي بيتين منها فى أوائل الجزء الثانى من العقد الفريد، وهما:

إنّا فقدناك فقد الارض وابلها وغاب مذ غبت عنا الوحى والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا لما نعت وحالت دونك الكتب

(١) ص ٢١٨ ج ٣ فى باب رثى النبى سعد بن خولى «المؤلف».

ص: ٢٨

ورثته عمته صفية بقصيدة يائية، ذكر ابن عبد البر فى أحوال النبى (صلى الله عليه وآله) من استيعابه جملة منها.

ورثاه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بقصيدة لامية، ذكر بعضها صاحب الاستيعاب والاصابة فى ترجمة أبى سفيان المذكور.

ورثاه أبو ذؤيب الهذلى - كما يعلم من ترجمته فى الاستيعاب والاصابة - بقصيدة حائية.

ورثاه أبو الهيثم بن التيهان بقصيدة دالية، أشار إليها ابن حجر فى ترجمة أبى الهيثم من إصابته.

ورثته أم رعدة القشيرية بقصيدة رائية، أشار إليها العسقلانى فى ترجمة أم رعدة من إصابته.

ورثاه عامر بن الطفيل بن الحارث الازدى بقصيدة جيمية، أشار إليها بن حجر فى ترجمة عامر من الاصابة.

ومن استوعب الاستيعاب، وتصفح الاصابة، وأسد الغابة، ومارس كتب الاخبار، يجد من مراثيهم المشتملة على تهيبج الحزن بذكر محاسن الموتى شيئاً يتجاوز حدّ الاحصاء.

وقد أكثر الخنساء - وهى صحابية - من رثاء أخويها

ص: ٢٩

صخر ومعاوية وهما كافران، وأبدعت فى مدائح صخر وأهاجت عليه لواعج الحزن، فما أنكر عليها منكر.

وأكثر أيضاً متمم بن نويرة من تهيج الحزن على أخيه مالك في مراثيه السائرة، حتى وقف مرة في المسجد وهو غاص بالصحابة أمام أبي بكر بعد صلاة الصبح واتكأ على سية قوسه فأنشد:

نعم القتل إذا الرياح تناوحت خلف البيوت قتلت يا ابن الازور ثم أوماً إلى أبي بكر - كما في ترجمة وثيمة بن موسى ابن الفرات من وفيات ابن خلكان - فقال مخاطباً له:

أدعوته بالله ثم غدرته لو هو دعاك بذمة لم يغدر
فقال أبو بكر: والله ما دعوته ولا غدرته.

ثم قال:

ولنعم حشو الدرع كان وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المتنور
لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه حلو شمائله عفيف المأزر

ص: ٣٠

وبكى حتى انحط عن سية قوسه، قالوا: فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء.

فما أنكر عليه في بكائه ولا في رثائه منكر، بل قال له عمر - كما في ترجمة وثيمة من الوفيات - لوددت أنك رثيت زيدا أخي بمثل ما رثيت به مالكا أخاك، فرثي متمم بعدها زيد بن الخطاب فما أجاد، فقال له عمر: لم لم ترثي زيدا كما رثيت مالكا؟ فقال: إنه والله ليحركني لمالك مالا يحركني لزيد.

واستحسن الصحابة ومن تأخر عنهم مراثيه في مالك، وكانوا يتمثلون بها، كما اتفق ذلك من عائشة إذ وقفت على قبر أخيها عبد الرحمن - كما في ترجمته من الاستيعاب - فبكت عليه وتمثلت:

وكنا كندمانى جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
وما زال الرثاء فاشياً بين المسلمين وغيرهم في كل عصر ومصر لا يتناكرونه مطلقاً.

ص: ٣١

ص: ٣٢

المطلب الثالث

في تلاوة الاحاديث المشتملة على مناقب الميت ومصائبه

كما كانت عليه سيرة السلف، وفعلته عائشة إذ وقفت على قبر أبيها باكية، فقالت: كنتَ للدنيا مذلاً بادبارك عنها، وكنتَ للآخرة معزاً باقبالك عليها، وكان أجل الحوادث بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) رزؤك، وأعظم المصائب بعده فقدك.

وفعله محمد بن الحنفية إذ وقف على قبر أخيه المجتبي (عليه السلام)، فخنته العبرة - كما في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد - ثم نطف فقال: يرحمك الله أبا محمد، فإن عزّت حياتك فقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح

ص: ٣٣

ضمّه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمه كفنك، وكيف لا تكون كذلك وأنت بقيّة ولد الانبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غذتك أكف الحق، وربيت في حجر الاسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك، ولا شاكّة في الخيار لك.

ثم بكى بكاءً شديداً، وبكى الحاضرون حتى سمع نشيجهم (١).

ووقف أمير المؤمنين على قبر خباب بن الارت في ظهر الكوفة - وهو أول من دفن هناك كما نصّ عليه ابن الاثير في آخر تنمة صفين - فقال: «رحم الله خباباً، لقد أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلى في جسمه أحوالاً، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً».

ولما توفي أمير المؤمنين، قام الخلف من بعده أبو محمد الحسن الزكى (عليهما السلام) خطيباً، فقال - كما في حوادث سنة ٤٠ من تاريخ ابن جرير وابن الاثير وغيرهما -: «لقد

(١) العقد الفريد ٢ / ٨ و ٣ / ١٩٧، تذكرة الخواص: ٢١٣.

ص: ٣٤

قتلتم الليلة رجلاً، والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده، إن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليعثه في السرية وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، ما ترك صفراء ولا بيضاء...».

ووقف الامام زين العابدين على قبر جدّه أمير المؤمنين (عليهما السلام)، فقال: «أشهد أنّك جاهدت في الله حق جهاده، وعملت بكتابه، واتبعت سنن نبيه (صلى الله عليه وآله)، حتى دعاك الله إلى جواره فقبضك إليه باختياره، لك كريم ثوابه، وألزم أعداءك الحجة مع مالك من الحجج البالغة على جميع خلقه».

وعن أنس بن مالك - كما في العقد الفريد وغيره - قال: لمّا فرغنا من دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكت فاطمة ونادت: «يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من ربّه ما أدناه، يا أبتاه إلى جبرئيل ننعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه».

ولو أردنا أن نستوفى ما كان من هذا القبيل، لخرجنا عن الغرض المقصود.

وحاصله: أن تأييد الموتى من أهل الآثار النافعة بنشر

ص: ٣٥

مناقبتهم وذكر مصائبهم مما حكم بحسنه العقل والنقل، واستمرت عليه سيرة السلف والخلف، وأوجبته قواعد المدنية، واقتضته أصول الترقى في المعارف، إذ به تحفظ الآثار النافعة، وبالتنافس فيه تعرج الخطباء إلى أوج البلاغة.

والقول بتحريمه يستلزم تحريم قراءة التاريخ وعلم الرجال، بل يستوجب المنع من تلاوة الكتاب والسنة، لاشتمالهما على جملة من مناقب الانبياء ومصائبهم، ومن يرضى لنفسه هذا الحمق أو يختار لها هذا العمى، نعوذ بالله من سفه الجاهلين.

ص: ٣٦

المطلب الرابع

في الجلوس حزناً على الموتى من أهل الحفائظ والأيادي المشكورة

وحسبك في رجحان ذلك: ما تواتر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحزن الشديد على عمه أبي طالب وزوجته الصديقة الكبرى أم المؤمنين (عليهما السلام)، وقد ماتا في عام واحد، فسمي عام الحزن، وهذا معلوم بالضرورة من أخبار الماضين.

وأخرج البخارى - فى باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن من الجزء الاول من صحيحه - بالاسناد إلى عائشة، قالت: لما جاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة، جلس - أى فى المسجد كما فى رواية أبى داود - يعرف فيه الحزن.

ص: ٣٧

وأخرج البخارى - فى الباب المذكور أيضاً - عن أنس، قال: قنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شهراً حين قتل القرأء، فما رأيت حزن حزناً قط أشد منه... (١).

والاخبار فى ذلك أكثر من أن تحصى أو تستقصى.

والقول: بأنه إنما يحسن ترتيب آثار الحزن إذا لم يتقادم العهد بالمصيبة.

مدفوع: بأن من الفجائع ما لا تخبو زفرتها ولا تخدم لوعتها، فقرب العهد بها وبعده عنها سواء.

نعم يتم قول هؤلاء اللاتمين إذا تلاشى الحزن بمرور الازمنة، ولم يكن دليل ولا مصلحة يوجبان التعبد بترتيب آثاره.

وما أحسن قول القائل فى هذا المقام:

خلى أميمة عن ملا مك ما المعزى كالثكول
ما الراقد الوسنان مثـل معذب القلب العليل

(١) وأخرجه مسلم أيضاً فى باب التشديد فى النياحة من صحيحه «المؤلف».

سهران من الم وهذا نائم الليل الطويل
ذوقى أميمة ما أذوق وبعده ماشئت قولى
على أن فى ترتيب آثار الحزن بما أصاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من تلك الفجائع، وحلّ بساحته من
هاتيك القوارع، حكماً توجب التعبد بترتيب آثار الحزن بسببها على كل حال، والادلة على ترتيب تلك الآثار فى
جميع الاعصار متوفرة، وستسمع اليسير منها إن شاء الله تعالى.

وقد علمت سيرة أهل المدينة الطيبة واستمرارها على ندب حمزة وبكائه مع بعد العهد بمصيبته، فلم ينكر عليهم
فى ذلك أحد، حتّى بلغنى أنهم لا يزالوا إلى الان إذا ناحوا على ميت بدوا بالنياحة عليه، وما ذاك إلاّ مواساة
لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بمصيبته فى عمه، وأداءً لحق تلك الكلمة التى قالها فى البعث على البكاء عليه،
وهى قوله: «لكن حمزة لا بواكى له».

وكان الاولى لهم ولسائر المسلمين مواساته فى الحزن على أهل بيته، والافتداء به فى البكاء عليهم، وقد لام بعض
أهل البيت (عليهم السلام) من لم يواسهم فى ذلك فقال: «يا الله

لقلب لا ينصدع لتذكّار تلك الأمور، ويا عجباً من غفلة أهل الدهور، وما عذر أهل الاسلام والايمان فى إضاعة
أقسام الاحزان، ألم يعلموا أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) موتور وجيع وحببيه مقهور صريع؟، قال: «وقد
أصبح لحمه (صلى الله عليه وآله) مجرداً على الرمال، ودمه الشريف مسفوكة بسيف أهل الضلال، فيا ليت لفاطمة
وأبيها، عيناً تنظر إلى بناتها وبنيتها، وهم ما بين مسلوب وجريح، ومسحوب وذبيح...» إلى آخر كلامه.

ومن وقف على كلام أئمة أهل البيت فى هذا الشأن، لا يتوقف فى ترتيب آثار الحزن عليهم مدى الدوران، لكنّا
ميناً يقوم لا ينصفون، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

المطلب الخامس

فى الانفاق على الميت فى وجوه البرّ والاحسان

ويكفى فى استحبابه:

عموم ما دلّ على استحباب مطلق المبرات والخيرات، على أنّ فعل النبى (صلى الله عليه وآله) وقوله دالان على الاستحباب فى خصوص المقام، وحسبك من فعله: ما أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما (١) بطرق متعددة عن عائشة:

ما غرت على أحد من نساء النبى (صلى الله عليه وآله) ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبى (صلى الله عليه وآله) يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبيعها فى صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن فى الدنيا إلاّ خديجة، فيقول: «إنما كانت وكان لى منها ولد».

(١) فراجع من صحيح البخارى: باب تزويج النبى خديجة وفضلها، ومن صحيح مسلم: باب فضائل خديجة أم المؤمنين (عليها السلام) «المؤلف».

قلت: وهذا يدلّ على استحباب صلة أصدقاء الميت وأوليائه في الله عز وجل بالخصوص.

ويكفيك من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أخرجه مسلم - في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، من كتاب الزكاة، في الجزء الاول من صحيحه - بطرق متعددة، عن عائشة: أنّ رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله إنّ أمي افتلتت نفسها، ولم توص، أفلها أجر أن تصدقت عنها؟ قال (صلى الله عليه وآله): «نعم».

ومثله: ما أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عباس - في ص ٣٣٣ من الجزء الاول - من مسنده: من أنّ سعد بن عبادة قال: إنّ ابن بكر أخا بني ساعدة توفيت أمّه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله، إنّ أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت بشيء عنها؟ قال: «نعم»، قال: فاني أشهدك أنّ حائط المخرف صدقة عليها.

والاخبار في ذلك متضافرة، ولا سيما من طريق العترة الطاهرة (١).

(١) وربما كان المنكر علينا فيما نفعله من المبرات عن الحسين (عليه السلام)، لا يقنع بأقوال النبي (صلى الله عليه وآله) ولا بأفعاله، وإنما تقتنه أقوال سلفه وأفعاله، وحينئذ نحتج عليه بما فعله الوليد بن عقبة بن أبي معيط الاموي، إذ مات لبید بن ربيعة العامري الشاعر، فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزوراً، فنحرت عنه، كما نصّ عليه ابن عبد البر في ترجمة لبید من الاستيعاب «المؤلف».

ص: ٤٢

فصل

[مآتمنا المختصة بسيد الشهداء]

كلّ من وقف على ما سلف من هذه المقدمة، يعلم أنّه لا وجه للانكار علينا في مآتمنا المختصة بسيد الشهداء (عليه السلام)، ضرورة أنّه لا تشتمل إلّا على تلك المطالب الخمسة، وقد عرفت إباحتها بالنسبة إلى مطلق الموتى من كافة المؤمنين.

وما أدري كيف يستنكرون مآتم انعقدت لمواساة

ص: ٤٣

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأسست على الحزن لحزنه؟

أييكي - بأبي هو وأمي - قبل الفاجعة، ونحن لا نبكي بعدها؟!

ما هذا شأن المتأسّي بنبيه والمقتصّ لآثره، إن هذا إلّا خروج عن قواعد المتأسّيين، بل عدول عن سنن النبيين.

بكاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الحسين (عليه السلام)
في مصادر العامة

ألم يرو الامام أحمد بن حنبل من حديث علي (عليه السلام) - في ص ٨٥ من الجزء الاول - من مسنده، بالاسناد إلى عبد الله بن نجا عن أبيه: أنّه سار مع عليّ (عليه السلام)، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين، نادى: «صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله بشط الفرات»، قال: قلت: وما ذاك؟ قال: «دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي جبرئيل قبل، فحدثني أن ولدي الحسين يقتل بشط الفرات، قال: فقال: هل لك إلى أن أشمّك من

ص: ٤٤

تربته؟ قال: قلت: نعم، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني إن فاضت» (١).

وأخرج ابن سعد - كما فى الفصل الثالث من الباب الحادى عشر من الصواعق المحرقة لابن حجر(٢) - عن الشعبى، قال: مرّ على (رضى الله عنه) بكربلاء عند مسيره إلى صفين، وحاذى نينوى، فوقف وسأل عن اسم الارض؟ فقيل: كربلاء، فبكى حتى بلّ الارض من دموعه، ثم قال: «دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يبكى، فقلت: ما يبكيك - بأبى أنت وأمى -؟ قال: كان عندى جبرائيل آنفاً، وأخبرنى أن ولدى الحسين يقتل بشاطئ الفرات، بموضع يقال له كربلاء...»(٣).

(١) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٦.

وراجع أيضاً: مسند أبى يعلى (٣٦٣)، مسند البزار (٨٨٤)، والذخائر للمحب الطبرى: ١٤٨، المعجم الكبير: (٢٨١١)، مجمع الزوائد ٩ / ١٨٧ وقال: رجاله ثقات، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٨٨.

(٢) كلّ ما نقله فى هذا المقام عن الصواعق، من هذا الحديث وغيره، موجود فى أثناء كلامه فى الحديث الثلاثين، من الاحاديث التى أوردها فى ذلك الفصل، فراجع «المؤلف».

(٣) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٦.

وراجع أيضاً: المعجم الكبير للطبرانى (٢٨١١)، مجمع الزوائد ٩ / ١٨٧ وقال: رجاله ثقات.

ص: ٤٥

وأخرج الملاء - كما فى الصواعق(١) أيضاً - أنّ علياً مرّ بموضع قبر الحسين (عليهما السلام)، فقال: «هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة، تبكى عليهم السماء والارض»(٢).

ومن حديث أم سلمة - كما نصّ عليه ابن عبد ربه المالكي (٣)، حيث ذكر مقتل الحسين في الجزء الثاني من العقد الفريد - قالت: كان عندى النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومعى الحسين، فدنا من النّبي (صلى الله عليه وآله)، فأخذته، فبكى، فتركته،

(١) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٦.

(٢) وهذا الحديث رواه أصحابنا بكيفية مشجية، عن الباقر عليه الصلاة والسلام، ورووه عن هرثمة وعن ابن عباس، وإن أردت الوقوف عليه فدونك ص ١٠٨ وما بعدها إلى ص ١١٢ من الخصائص الحسينية «المؤلف».

(٣) فى سطر ١٥ من ص ٢٤٣ من جزئه الثانى المطبوع سنة ١٣٠٥، وفى هامشه زهر الاداب «المؤلف».

ص: ٤٦

فدنا منه، فأخذته، فبكى، فتركته، فقال له جبرئيل: أتحبه يا محمد؟ قال: «نعم»، قال: أما إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك الارض التى يقتل بها، فبكى النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

وروى الماوردى الشافعى - فى باب إنذار النّبي (صلى الله عليه وآله) بما سيحدث بعده (٢)، من كتابه أعلام النبوة - عن عروة، عن عائشة، قالت: دخل الحسين بن على على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يوحى إليه، فقال جبرائيل: إن أمتك ستفتتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: فى هذه يقتل ابنك، اسمها الطف، قال: فلما ذهب جبرائيل، خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أصحابه والتربة بيده - وفيهم: أبو بكر، وعمر، وعلى، وحذيفة، وعثمان، وأبو ذر - وهو يبكى، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أخبرنى جبرائيل: أن ابنى الحسين يقتل بعدى

(١) وأخرج البغوى فى معجمه وأبو حاتم فى صحيحه من حديث أنس - كما فى الصواعق - نحوه «المؤلف».

راجع: الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٤ و ٥٦٥.

(٢) وهو الباب الثاني عشر في ص ٢٣ من ذلك الكتاب «المؤلف».

ص: ٤٧

بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة، فأخبرني أن فيها مضجعه».

وأخرج الترمذى - كما فى الصواعق وغيرها - أن أم سلمة رأت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) - فيما يراه النائم - باكياً، وبرأسه ولحيته التراب، فسألته؟ فقال: «قتل الحسين آنفاً» (١).

قال فى الصواعق: وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار، أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم يلتقطه، فسأله؟ فقال: «دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتبعه منذ اليوم» (٢)، قال: فنظروا فوجدوه قد قتل فى ذلك اليوم (٣) (٤).

(١) سنن الترمذى (٣٧٧٤)، الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٧، ذخائر العقبى: ١٤٨.

(٢) وأخرجه من حديث ابن عباس أحمد بن حنبل فى ص ٢٨٣ من الجزء الاول من مسنده، وابن عبد البر والعسقلانى فى ترجمة الحسين (عليه السلام) من الاستيعاب والاصابة، وخلق كثير «المؤلف».

(٣) وراجع أيضاً: الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٧، المعجم الكبير: (٢٨٢٢)، مختصر تاريخ ابن عساكر ٧ / ١٥٢، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١٥، البداية والنهاية ٨ / ٢٠٠، ذخائر العقبى: ١٤٨.

(٤) وللمزيد حول بكاء النبى (صلى الله عليه وآله) على الحسين (عليه السلام) فى مصادر أهل السنة راجع: مستدرك الحاكم ٣ / ١٧٦ و ٤ / ٣٩٨، تاريخ الخميس ١ / ٣٠٠ و ٤١٨، الامالى للشجرى: ١٦٥، كنز العمال ١٣ / ١١١ و ٦ / ٢٢٣، مقتل الحسين ١ / ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٣، وسيلة المآل: ١٨٣، الفصول المهمة: ١٥٤، ينباع المودة: ٣١٨ و ٣٢٠، الفتح الكبير ١ / ٥٥، روض الازهر: ١٠٤، الكواكب الدرية ١ / ٥٦، الخصائص

الكبرى ٢ / ١٢٦، تاريخ الخلفاء: ١٠، التاج الجامع ٣ / ٣١٨، الكامل فى التاريخ ٣ / ٣٠٣، ذخائر المواريث ٤ / ٣٠٠، تاريخ الاسلام ٢ / ٣٥٠، كفاية الطالب: ٢٨٦، مصابيح السنة: ٢٠٧، تاريخ الرقة: ٧٥، نظم درر السمطين: ٢١٥، الغنية لطالبى طريق الحق ٢ / ٥٦، لسان العرب ١١ / ٣٤٩، النهاية ٢ / ٢١٢.

وراجع أيضاً: كتاب سيرتنا وسنتنا للعلامة الامينى، وكتاب أنباء السماء برزية كربلاء للمحقق الطباطبائى، وكتاب إحقاق الحق: المجلد ١١.

ص: ٤٨

بكاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على الحسين (عليه السلام)
فى مصادر الشيعة

وأما صحاحنا، فانها متواترة فى بكائه (صلى الله عليه وآله وسلم) على الحسين (عليه السلام) فى مقامات عديدة:
يوم ولادته، وقبلها،

ص: ٤٩

ويوم السابع من مولده، وبعده فى بيت فاطمة، وفى حجرته، وعلى منبره، وفى بعض أسفاره.

تارة يبكيه وحده، يقبله فى نحره ويبكى، ويقبله فى شفتيه ويبكى، وإذا رآه فرحاً يبكى، وإذا رآه حزناً يبكى.

بل صحَّ أنه قد بكاه: آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، وزكريا، ويحيى، والخضر، وسليمان (عليهم السلام).

وتفصيل ذلك كله موكول إلى مظانّه من كتب الحديث (١).

[إقامة الأئمة (عليهم السلام) المآتم على الحسين (عليه السلام) وحث أوليائهم على ذلك]

(١) فراجع: ص ١٠٥ وما بعدها إلى ص ٢٣٢ من الخصائص الحسينية، وإن شئت فراجع: جلاء العيون، أو البحار، أو غيرهما «المؤلف».

وراجع: أمالي الصدوق: المجلس ٩٢، كامل الزيارات: ٦٧ و ٦٨ و ٨٣ و ٨٤ و ٩٢ و ١١٥ و ١٩٢، علل الشرائع ١ / ١٥٤، الكافي ١ / ٢٨٣ و ٥٣٤، مناقب آل أبي طالب ٤ / ٥٥، المحتضر: ١٤٦ و ١٤٧، بحار الانوار ٤٥ / ٢٢٠ - ٢٢٩ الباب ٤١.

ص: ٥٠

وأما أئمة العترة الطاهرة: الذين هم كسفينة نوح، وباب حطة، وأمان أهل الارض، وأحد الثقلين اللذين لا يضلّ من تمسك بهما ولا يهتدى إلى الله من صدّ عنهما.

فقد استمرت سيرتهم على التدب والعويل، وأمروا أوليائهم باقامة مآتم الحزن، جيلاً بعد جيل.

فعن الصادق (عليه السلام) - فيما رواه ابن قولويه في الكامل وابن شهر آشوب في المناقب وغيرهما -: أن علي بن الحسين (عليهما السلام) بكى على أبيه مدّة حياته، وما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى، ولا أتى بشراب إلاّ بكى، حتى قال له أحد مواليه: جعلت فداك يا ابن رسول الله إنّى أخاف أن تكون من الهالكين! قال (عليه السلام): «إنّما أشكو بثّى وحزنى إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون».

وروى ابن قولويه وابن شهر آشوب أيضاً وغيرهما: أنه لما كثر بكاءه، قال له مولاه: أما آن لحزنك أن ينقضى؟ فقال: «ويحك، إن يعقوب (عليه السلام) كان له اثنا عشر ولداً، فغيّب الله واحداً منهم، فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه واحدودب ظهره من الغم، وابنه حيّ في الدنيا، وأنا نظرت

ص: ٥١

إلى أبي وأخي وعمومتي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضى حزني».

وعن الباقر (عليه السلام) (١) قال: «كان أبي - علي بن الحسين صلوات الله عليه - يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي (عليه السلام) دمعة حتى تسيل على خده بوّاه الله تعالى في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لاذى مسّنا من عدوّنا في الدنيا بوّاه الله في الجنة مَبوّاً صدق، وأيما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده صرف الله عن وجهه الازدى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار» (٢).

وقال الرضا (٣) - وهو الثامن من أئمة الهدى صلوات الله وسلامه عليهم - «إنّ المحرمّ شهر كان أهل الجاهلية

(١) فيما أخرجه جماعة، منهم ابن قولويه في كامله «المؤلف».

(٢) كامل الزيارات: ١٠٠.

وراجع: تفسير القمى: ٦١٦، ثواب الاعمال: ٤٧، بحار الانوار ٤٤ / ٢٨١.

(٣) فيما أخرجه الصدوق في أماليه وغير واحد من أصحابنا «المؤلف».

ص: ٥٢

يحرّمون فيه القتال، فاستُحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسييت فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت فيه النار في مضاربنا، وانتهب مافيها من ثقلنا(١)، ولم ترع لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حرمة في أمرنا.

إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا....

فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحط الذنوب العظام».

ثم قال (عليه السلام): «كان أبي إذا دخل شهر المحرم، لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبتته وحزنه وبكائه»(٢).

وقال (عليه السلام)(٣): «من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا

(١) الثقل: وزان سبب متاع المسافر، وكلّ شيء نفيس مصون «المؤلف».

(٢) أمالي الصدوق: المجلس ٢٧ الرقم ٢.

وراجع: بحار الانوار ٤٤ / ٢٨٣.

(٣) فيما أخرجه الصدوق في أماليه «المؤلف».

ص: ٥٣

كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكى العيون، ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»(١).

وعن الريان بن شبيب - فيما أخرجه الشيخ الصدوق في العيون - قال: دخلت على الرضا (عليه السلام) في أول يوم من المحرم، فقال لي: «يا ابن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الامة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ إذ قتلوا في هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله....

يا ابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين (عليه السلام)، فانه ذبح كما يذبح الكبش (٢)، وقتل معه من أهل بيته

(١) أمالي الصدوق: المجلس ١٧ الرقم ٤.

وراجع: عيون أخبار الرضا ١ / ٢٩٤، بحار الانوار ٤٤ / ٢٧٨.

(٢) إن التعبير - كهذا - مما يدل على غاية همجية القوم وشقائهم وبعدهم عن العطف الانساني، بالاضافة على قتلهم ريحانة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وحتكهم حرمة في سبطه روى فداه.

وقد أجمل الامام عليه أفضل الصلاة والسلام لما أدى عن الفاجعة واهميتها بهذا الكلام القصير، وأشار به إلى معنى جسيم يدركه الباحث المتعمق بعد التحليل والاختبار، ويندهش المجموع البشرى لمثل هذه الرزية عندما علم أنه لم يوجد بين تلك الجموع المحتشدة في كربلاء من يردعهم عن موقفهم البغيض، ولا أقل من تسائل بعضهم: لماذا تقاتل الحسين؟ وبأى عمل استحق ذلك منا؟ أو هل كان دم الحسين (عليه السلام) مباحاً إلى حدّ إباحة دم الكبش؟ ويذبح - بأبى هو وأمى - بلا ملامة لاثم ومن دون خشية محاسب!! «المؤلف».

ص: ٥٤

ثمانية عشر رجلاً مالهم في الارض من شببيه، ولقد بكت السموات السبع لقتله...».

إلى أن قال: «يا ابن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا...»(١).

وقال (عليه السلام) - فيما أخرجه الصدوق في أماليه -: «من ترك السعى في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ٢٩٩.

وراجع: أمالي الصدوق: المجلس ٢٧، بحار الأنوار ٢٤ / ٢٨٥.

ص: ٥٥

الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عزّ وجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقرّت بنا في الجنان عينه...»(١).

وبكى صلوات الله عليه إذ أنشده دعبل بن علي الخزاعي قصيدته التائية السائرة التي أغمى عليه في أثنائها مرتين، كما نصّ عليه الفاضل العباسي في ترجمة دعبل من معاهد التنصيص وغيره من أهل الاخبار.

وفي البحار وغيره: أنه (عليه السلام) أمر قبل إنشادها بستر فضرّب دون عقائله، فجلسن خلفه يسمعن الرثاء ويبكين على جدّهن سيد الشهداء، وأنه قال يومئذ: «يا دعبل، من بكى أو أبكى على مصابنا ولو واحداً كان أجره على الله، يا دعبل، من ذرفت عيناه على مصابنا حشره الله معنا».

وحدّث محمد بن سهل - كما في ترجمة الكميت من

(١) أمالي الصدوق: المجلس ٢٧ الرقم ٤.

معاهد التنصيص - قال: دخلت مع الكميت على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في أيام التشريق، فقال له: جعلت فداك ألا أنشدك؟ قال: «إنها أيام عظام»، قال: إنها فيكم، قال: «هات»، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب، فأنشده - في رثاء الحسين (عليه السلام) - فكثر البكاء، حتى أتى على هذا البيت:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغى أول
قال: فرفع أبو عبد الله رحمه الله تعالى يديه فقال: «اللهم اغفر للكميت ماقدّم وما أخر وما أسرّ وما أعلن حتى يرضى» (١).

(١) يخ بخ، هنيئاً لمن نال من أئمة الهدى بعض ذلك، وأنت تعلم أنه (عليه السلام) لم يبتهل بالدعاء للكميت هذا الابتهاال إلا لما دلّ عليه بيته هذا من معرفته بحقيقة الحال.

وقد أكثر الشعراء من نظم هذا المعنى، فنظمه المهيار في قصيدته اللامية، وقبل ذلك نظمه الشريف الرضى فقال:

بنى لهم الماضون أساس هذه فعلوا على أساس تلك القواعد إلى آخر ما قال.

وكان سيدة نساء عصرها زينب (عليها السلام) أشارت إلى هذا المعنى بقولها مخاطبة ليزيد: وسيعلم من سؤل لك، ومكنك من رقاب المسلمين.

بل أشار إليه معاوية إذ كتب إليه محمد بن أبي بكر يلومه في تمرده على أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويذكر له فضله وسابقتها، فكتب له معاوية في الجواب ما يتضمن الإشارة إلى المعنى الذى نظمه الكميت، فراجع ذلك الجواب: في كتاب صفين لنصر بن مزاحم، أو شرح النهج الحيدى، أو مروج الذهب للمسعودى.

وقد اعترف بذلك المعنى يزيد بن معاوية: إذ كتب إليه ابن عمر يلومه على قتل الحسين، فأجابه: أما بعد، فانا أقبلنا على فرش ممهّدة ونمارق منضّدة... إلى آخر الكتاب، وقد نقله البلاذري وغيره من أهل السير والاختبار.

وفى كتابنا سبيل المؤمنين من هذا شيء كثير، فحقيق بالباحثين أن يقفوا عليه «المؤلف».

ص: ٥٧

وفى كامل الزيارات بالاسناد إلى عبد الله بن غالب، قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فأنشدته مرثية الحسين (عليه السلام)، فلما انتهيت إلى قولي:

ص: ٥٨

لبلية تسقو حسينا بمسقاة الثرى غير التراب
صاحت باكية من وراء الستر يا أبتاه (١).

وروى الصدوق في الامالي وثواب الاعمال، وابن قولويه، بأسانيد معتبرة عن أبي عمارة قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين»، فأنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنشده وهو يبكي، حتى سمعت البكاء من الدار، قال: فقال لي: «يا أبا عمارة من أنشد في الحسين بن علي (عليهما السلام) فأبكي خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكي ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكي عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكي عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكي واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين

(١) كامل الزيارات: ١٠٥.

وراجع: بحار الانوار ٤٤ / ٢٨٦.

ص: ٥٩

فتباكي فله الجنة» (١).

وروى الصدوق في ثواب الاعمال بالاسناد إلى هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) فقال لي: «يا أبا هارون، أنشدني في الحسين (عليه السلام)»، فأنشدته، فقال لي: «أنشدني كما تنشدون» يعني: بالرقعة، قال: فأنشدته:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية
قال: فبكي، ثم قال: «زدني»، فأنشدته القصيدة الاخرى، قال: فبكي، وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغت، قال: «يا أبا هارون، من أنشد في الحسين فبكي وأبكي عشرة كتبت لهم الجنة...».

إلى أن قال: «ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه من الدمع مقدار جناح ذبابة، كان ثوابه على الله عز وجل،

(١) أمالي الصدوق: المجلس ٢٩ الرقم ٦، ثواب الاعمال: ٤٧، كامل الزيارات: ١٠٥.

وراجع: بحار الانوار ٤٤ / ٢٨٢.

ص: ٦٠

ولم يرض له بدون الجنة»(١).

وروى الكشي بسند معتبر عن زيد الشحام قال: كنّا عند أبي عبد الله (عليه السلام)، فدخل عليه جعفر بن عثمان، فقربه وأدناه، ثم قال: «يا جعفر»، قال: لبيك جعلني الله فداك، قال: «بلغني أنك تقول الشعر في الحسين (عليه السلام) وتجدد»، فقال له: نعم جعلني الله فداك، قال: «قل»، فأشددته، فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال: «يا جعفر، والله لقد شهدت الملائكة المقربون هاهنا يسمعون قولك في الحسين (عليه السلام)، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر...».

إلى أن قال: «ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة، وغفر له»(٢).

وروى ابن قولويه في الكامل بسند معتبر حديثاً عن الصادق (عليه السلام) جاء فيه: «وكان جدى على بن الحسين (عليهما السلام)

(١) ثواب الاعمال: ٤٧.

وراجع: كامل الزيارات: ١٠٠ و ١٠٤، بحار الانوار ٤٤ / ٢٨٨.

(٢) رجال الكشي: ١٨٧.

ص: ٦١

إذا ذكره - يعنى الحسين (عليه السلام) - بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه - رحمة له - من رآه، وأن الملائكة الذين عند قبره ليبكون فيبكي لبكائهم كل من في الهواء والسماء، وما من باك يبكيه إلا وقد وصل فاطمة وأسعدها، ووصل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأدّى حقنا...».

وفى قرب الاسناد عن بكر بن محمد الازدى قال: قال أبو عبد الله - الصادق - (عليه السلام) لفضيل بن يسار: «أتجلسون وتحذّثون؟» قال: نعم جعلت فداك، قال (عليه السلام): «إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيى أمرنا، يا فضيل: من ذكّرنا أو ذكّرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه».

وفى خصال الصدوق، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الارض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبدلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منا وإلينا».

وفى كامل الزيارات بالاسناد إلى أبي عمارة المنشد قال: ماذكر الحسين (عليه السلام) عند أبي عبد الله - الصادق - (عليه السلام)

ص: ٦٢

فى يوم قط فرؤى متبسماً فى ذلك اليوم إلى الليل، قال: وكان أبو عبد الله (عليه السلام) يقول: «الحسين عبدة كل مؤمن» (١).

وفيه بالاسناد إلى الصادق (عليه السلام) قال: «قال الحسين (عليه السلام): أنا قتيل العبرة، لا يذكرنى مؤمن إلاّ استعبر» (٢).

إلى غير ذلك من صحاح الاخبار المتواترة عن أئمة الابرار (٣).

(١) كامل الزيارات: ١٠٨.

وراجع: بحار الانوار ٤٤ / ٢٨٠.

(٢) كامل الزيارات: ١٠٨.

وراجع: بحار الانوار ٤٤ / ٢٨٤.

[حجّة أقوال الأئمة (عليهم السلام) في رجحان إقامة المآتم]

وناهيك بها حجة على رجحان هذه المآتم، واستحبابها شرعاً، فإن أقوال أئمة الهدى من أهل البيت (عليهم السلام) وأفعالهم

ص: ٦٣

وتقريرهم حجة بالغة، لوجوب عصمتهم بحكم العقل والنقل، كما هو مقرر في مظانه من كتب المتكلمين من أصحابنا، والتفصيل في كتابنا سبيل المؤمنين.

على أن الاقتداء بهم في هذه المآتم وغيرها لا يتوقف عند الخصم على عصمتهم، بل يكفينا فيه ما اتفقت عليه الكلمة من إمامتهم في الفتوى، وأنهم في أنفسهم لا يقصرون عن الفقهاء الأربعة والثوري والأوزاعي وأضرابهم علماً ولا عملاً.

وأنت تعلم أن هذه المآتم لو ثبتت عن أبي حنيفة أو صاحبيه أبي يوسف والشيباني مثلاً، لاستبق الخصم إليها وعكف أيام حياته عليها، فلم ينكرها علينا ويندّد بها بعد ثبوتها عن أئمة أهل البيت يا منصفون؟!

أتراه يرى في أئمة الثقلين أمراً يقتضى الاعراض عنهم، أو يجد فيهم شيئاً يستوجب الإنكار على الأخذ بمذهبهم، أو أن هناك أدلة خاصة تقصر الإمامة في الفتوى على أئمة خصومنا ولا تبيح الرجوع إلى غيرهم، كلاً إن واقع الامر وحقيقة الحال بالعكس.

[حديث الثقلين]

هذا حديث الثقلين المجمع على صحّته واستفاضته، قد أنزل العترة منزلة الكتاب وجعلها قدوة لاولى الالباب،
فراجعه:

فى باب فضائل على من صحيح مسلم.

أو فى الجمع بين الصحيحين.

أو الجمع بين الصحاح الستة.

أو فى حديث أبى سعيد الخدرى من مسند أحمد بن حنبل.

أو خصائص على للامام النسائى.

أو فى تفسيرى الثعلبى والبيهقى.

أو فى حلية الحافظ الاصفهانى.

أو كتب الحاكم والطبرانى وغيرها من كتب الحديث (١).

(١) حديث الثقلين حديث صحيح ثابت متواتر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أخرجه الحفاظ وأئمة الحديث في الصحاح والمسانيد والسنن والمعاجم بطرق كثيرة صحيحة عن بضع وعشرين صحابياً، فالنبي (صلى الله عليه وآله) لما أحسَّ بقرب أجله أوصى أمته بأهم الأمور لديه وأعزها عليه، وهما ثقلاه وخليفته، وحثَّ على التمسك بهما واتباعهما، وحذر من تركهما والتخلف عنهما، وكان ذلك منه (صلى الله عليه وآله) في مواقف مشهودة، أعلنها صرخة مدوية كلما وجد تجمعاً من الامة ومحتشداً من الصحابة ليبلغوا مَنْ وراءهم وينقلوا إلى مَنْ بعدهم، وقد صدع بها (صلى الله عليه وآله) في ملا من الناس أربع مرّات:

(١) موقف يوم عرفة:

سنن الترمذى ٥ / ٦٦٢ رقم ٣٧٨٦، كنز العمال ١ / ٤٨ عن ابن أبي شيبة والخطيب، نوادر الاصول للحكيم الترمذى: ٦٨، المعجم الكبير ٣ / ٦٣ رقم ٢٦٧٩، مجمع الزوائد ٥ / ١٩٥ و ٩ / ١٦٣ و ١٠ / ٣٦٣ و ٣٦٨، المصاييح للبخارى ٢ / ٢٠٦، جامع الاصول ١ / ٢٧٧ رقم ٦٥، تهذيب الكمال ١٠ / ٥١، تحفة الاشراف ٢ / ٢ / ٢٧٨ رقم ٢٦١٥، مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ١١٤، مشكاة المصابيح ٣ / ٢٥٨، نظم درر السمطين: ٢٣٢.

(٢) موقف يوم الغدير:

النسائي في خصائص علي: ٩٦ رقم ٧٩، التاريخ الكبير للبخارى ٣ / ٩٦، صحيح مسلم: باب فضائل علي رقم ٢٤٠٨، مسند أحمد ١٧/٣ و ٤ / ٣٦٦، مسند عبد بن حميد رقم ٢٦٥، المطالب العالمة لابن حجر ٤ / ٦٥ رقم ١٨٧٣ عن إسحاق بن راهويه في صحيحه وقال: هذا إسناد صحيح، سنن الدارمي ٢ / ٣١٠ رقم ٢٣١٩، تذكرة خواص الامة: ٣٢٢، السنة لابن أبي عاصم: ٦٢٩ رقم ١٥٥١ و ٦٣٠ رقم ١٥٥٥، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١١٢، حلية الاولياء ١ / ٣٥٥ و ٩ / ٦٤، المعرفة والتاريخ ١ / ٥٣٦، كنز العمال ١٣ / ٣٦٣٤٠ و ٣٦٤٤١، جمع الجوامع ٢ / ٦٦ و ٣٥٧ و ٣٩٥، أنساب الاشراف: ترجمة أمير المؤمنين، مشكل الاثار ٢ / ٣٠٧ و ٤ / ٣٦٨، المعجم الكبير ٣ / ٢٦٧٩ و ٢٦٨١ و ٢٦٨٣ و ٣٠٥٢ و ٥ / ٤٩٦٩ و ٤٩٧٠ و ٤٩٧١ و ٤٩٨٦ و ٥٠٢٦ و ٥٠٢٨، المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٩ بثلاث طرق وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي و١١٠/٣ بطريق آخر وقال: صحيح على شرط الشيخين، تاريخ بغداد ٨ / ٤٤٢، مصاييح السنة ٢ / ٢٠٥، منهاج السنة ٤ / ٨٥.

(٣) موقف مسجد المدينة:

تفسير المحرّر الوجيز لابن عطية ١ / ٣٤، تفسير البحر المحيط ١٣/١، الصواعق المحرقة: ٧٥ و ١٣٦، ينابيع المودة: ٤٠.

(٤) موقفه (صلى الله عليه وآله) في مرضه في الحجرة:

رواه ابن أبي شيبة كما عنه العاصمي في سمط النجوم العوالي ٥٠٢/٢ رقم ١٣٦، وأخرجه البزار في مسنده كما في كشف الاستار ٢٢١/٣ رقم ٢٦١٢، تهذيب اللغة للزهري ٩ / ٧٨، مقتل الحسين ١٦٤/١، الصواعق المحرقة: ٨٩.

ومن أراد التفصيل فعليه بمراجعة: كتاب قبسات من فضائل أمير المؤمنين للمحقق الطباطبائي: ٢٨ - ٤٣، نفحات الازهار - حديث الثقلين - في ثلاث مجلدات.

ص: ٦٥

ص: ٦٦

ص: ٦٧

وأنا أوردته لك بلفظ الترمذي (١) بحذف الاسناد:

(١) قال ابن حجر - بعد نقله عن الترمذى - فى أثناء تفسيره للآية الرابعة من الآيات التى أوردها فى الفصل الاول من الباب الحادى عشر من صواعقه ما هذا لفظه: ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً.

قال: ومرّ له طرق مبسوطّة فى حادى عشر الشبه، وفى بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك فى حجة الوداع بعرفة، وفى أخرى أنّه قال بالمدينة فى مرضه وقد امتلات الحجرة بأصحابه، وفى أخرى أنّه قال ذلك بغدير خم، وفى أخرى أنّه قاله لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف.

قال: ولا تنافى، إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك فى تلك المواطن وغيرها، اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة «المؤلف».

راجع: الصواعق المحرقة ٢ / ٤٤٠.

ص: ٦٨

قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله عزّ وجلّ حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (١).

وقد زاد الطبرانى: «فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم» (٢).

قلت: لا يخفى أنّ تعليق عدم الضلال على التمسك بهما يقتضى بحكم المفهوم ثبوت الضلال لمن تخلّى عن أحدهما، وناهيك به فى وجوب اتباع العترة والانقطاع فى

(١) سنن الترمذى: (٣٧٨٨)، وأورده: السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦٠، والتبريزى فى المشكاة (٦٢٤٤)، والهندي فى الكنز (٨٧٣).

ص: ٦٩

الدين إليها وإلى القرآن العزيز.

على أن اقتترانهم بالكتاب وهو معصوم، وجعلهم في وجوب التمسك بهم مثله، دليل قاطع على حجّية أقوالهم وأفعالهم، وأن الرجوع في الدين إلى خلافهم ليس إلاّ كترك القرآن والرجوع إلى كتاب يخالف أحكامه.

ولا تنس دلالة قوله (صلى الله عليه وآله): «ولن يفترقا» على عدم خلوّ الزمان ممن يفرغ منهم عن القرآن والقرآن يفرغ عنه (١).

ثم إن قوله: «فلا تقدموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم

(١) ومثله: قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «في كلّ خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فانظروا من توفدون».

أخرجه الملا، كما في تفسير الآية الرابعة من الايات التي أوردها ابن حجر في الفصل الاول من الباب الحادى عشر من صواعقه، وفي هذا المعنى صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة، بل هو من ضروريات مذهبهم (عليهم السلام) «المؤلف».

راجع: الصواعق المحرقة ٢ / ٤٤١.

فتهلكوا، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم»، نصّ صريح فيما قلناه، كما لا يخفى.

[نظائر حديث الثقلين]

وكم لهذا الحديث من نظير في الدلالة على وجوب الاقتداء بالعترة الطاهرة أو المنع من مخالفتها، نستلفت الباحثين إلى ما أخرجناه من ذلك في مبحث العصمة من سبيل المؤمنين.

وحسبك منه ما أخرجه الحاكم بسند صحيحه على شرط البخارى ومسلم (١) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال من جملة حديث: «وأهل بيتى أمان لامتى من الاختلاف، فاذا خالفتها قبيلة من العرب [فى بعض أحكام الدين] اختلفوا [فى فتاويهم] فصاروا حزب إبليس» (٢).

(١) كما فى تفسير الآية السابعة من الايات التى أوردها ابن حجر فى الفصل الاول من الباب الحادى عشر من صواعقه، ونقله حاكماً بصحته أيضاً فى باب الامان ببقائهم من أواخر الصواعق «المؤلف».

(٢) الصواعق المحرقة ٢ / ٤٤٥، المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٤٩ عن ابن عباس مرفوعاً وصحيحه.

أليس هذا نصّاً فى وجوب اتباعهم، وحرمة مخالفتهم، وهل فى لغة العرب أو غيرها عبارة أبلغ منه فى إنذار مخالفيهم؟!

وأخرج أحمد بن حنبل وغيره (١) بالاسناد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «النجوم أمان لاهل السماء، فاذا ذهب ذهبوا، وأهل بيتي أمان لاهل الارض، فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض»، وفي رواية: «فاذا هلك أهل بيتي جاء أهل الارض من الايات ما كانوا يوعدون»، وفي هذا المعنى صحاح متضافرة من طريق العترة الطاهرة، ومتى كانوا أماناً لاهل الارض، فكيف يستبدل بهم، وأنّى

(١) كما نصّ عليه ابن حجر في باب الامان ببقائهم من صواعقه «المؤلف».

راجع: الصواعق المحرقة ٢ / ٤٤٥، مسند أحمد: الفضائل (١١٤٥)، المعجم الكبير: (٦٢٦٠)، مجمع الزوائد ٩ / ١٧٤، المطالب العالية: (٢٥٦٢)، المستدرک على الصحيحين ٢ / ٤٤٨ و ٣ / ١٤٩، ذخائر العقبى: ١٧.

ص: ٧٢

يعدل عنهم؟!

[حديث السفينة]

وجاء من طرق عديدة يقوى بعضها بعضاً - كذا قال ابن حجر (١) - أنه (صلى الله عليه وآله) قال: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا»، قال ابن حجر: وفي رواية مسلم: «ومن تخلف عنها غرق»، قال: وفي رواية: «هلك، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بنى إسرائيل، من دخله غفر له»، قال: وفي رواية: «غفر له الذنوب» (٢).

(١) في تفسير الآية السابعة من الايات التي أوردها في الفصل الاول من الباب الحادى عشر من صواعقه، وفي باب الامان ببقائهم من أواخر الصواعق أيضاً «المؤلف».

(٢) راجع: الصواعق المحرقة ٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩ و ٤٤٥ و ٥٤٣ و ٦٧٥، المعجم الكبير: (٢٦٣٦) و (٢٦٣٧) و (٢٦٣٨)، المعجم الصغير ١/١٣٩ - ١٤٠، المستدرک علی الصحیحین ٣ / ١٥١، مجمع الزوائد ٩ / ١٦٨، المشكاة: (٦١٧٤).

ص: ٧٣

ولا يخفى أن المراد من تمثيلهم بسفينة نوح إنما هو إلزام الأمة باتباع طريقتهم والتمسك بالعروة الوثقى من ولايتهم، وليس المراد من النجاة بذلك إلاّ رضوان الله عز وجل والجنة، كما أن المراد بغرق المتخلفين عنهم أو هلاكهم إنما هو سخط الله سبحانه والنار.

والمراد من تمثيلهم بباب حطة إنما هو بعث الأمة على التواضع لله عز وجل بالاعتداء بهم والاستسلام لاوامرهم ونواهيهم، وهذا كله ظاهر كما ترى.

قال ابن حجر - بعد إيراد هذه الأحاديث في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها في الفصل الأول من الباب الحادى عشر من الصواعق - ما هذا لفظه:

وجه تشبيههم بالسفينة - فيما مرّ - أن من أحبهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرفهم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذ يهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان.

إلى أن قال: وبباب حطة - يعنى: ووجه تشبيههم بباب حطة - أن الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذى هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً

ص: ٧٤

للمغفرة، وجعل لهذه الامة مودة أهل البيت سبباً لها، إلى آخر كلامه (١).

ولو أردنا استيفاء ما جاء من الصحاح الستة في وجوب اتباع أئمة أهل البيت، والانتقطاع في الدين إليهم عن العالمين، لطال المقام وخرجنا عن موضوع هذه المقدمة.

[سيرة أئمة الهدى (عليهم السلام) القطعية في إقامة المآثم]

وحاصله: أن مآثنا - بما فيها من الجلوس بعنوان الحزن على مصائب أهل البيت، والانفلاق عنهم في وجوه البر، وتلاوة رثائهم ومناقبهم، والبكاء رحمة لهم - سيرة قطعية قد استمرت عليها أئمة الهدى من أهل البيت، وأمروا بها أولياءهم على مرّ الليالي والايام، فورثناها منهم، وثابروا عليها، عملاً بما هو المأثور عنهم.

فكيف والحال هذه تنكرونها علينا وتقولون فيها ما تقولون؟ والله يعلم أنها ليست كما تظنون.

(١) الصواعق المحرقة ٢ / ٤٤٦ - ٤٤٧.

ص: ٧٥

[نوح الجن وراث الطير وبكاء الوحش...]

دع بكاء الانبياء والاوصياء، ودع عنك ما كان من ملائكة السماء، وقل لى: هل جهلت نوح الجن في طبقاتها، وراث الطير في وكناتها، وبكاء الوحش في فلواتها، ورسيس حيتان البحر في غمراتها؟

وهل نسيت الشمس وكسوفها، والنجوم وخسوفها، والارض وزلاها، وتلك الفجائع وأهوالها؟

أم هل ذهلت عن الاحجار ودمائها، والاشجار وبكائها، والافاق وغبرتها، والسماء وحمرتها، وقارورة أم سلمة وحصياتها(١)، وتلك الساعة وآياتها؟

(١) أشرنا بهذا إلى ما رواه الملاء في سيرته وابن أحمد في زيادة المسند - كما في الصواعق - عن أم سلمة، قالت من حديث: ثم ناولني كفاً من تراب أحمر وقال: «إن هذا من تربة الارض التي يقتل بها - ولدى - فمتى صار دماً فاعلمي أنه قد قتل»، قالت: فوضعتة في قارورة عندي وكنت أقول: إن يوماً يتحول فيه دماً ليوم عظيم.

وفي رواية أخرى - كما في الصواعق أيضاً - أن جبرئيل جاء بحصيات، فجعلهن النبي (صلى الله عليه وآله) في قارورة، قالت أم سلمة: فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الانجيل قالت: فبكيت وفتحت القارورة، فاذا الحصيات قد جرت دماً «المؤلف».

راجع: الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٤ - ٥٦٥، المعجم الكبير: (٢٨١٧)، مجمع الزوائد ٩ / ١٨٩، ذخائر العقبى: ١٤٧، مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٥٤، البداية والنهاية ٨ / ٢١٨.

ص: ٧٦

ألم يرو الملاء عن أم سلمة - كما في الصواعق(١) وغيرها - أنها قالت: سمعت نوح الجن على الحسين(٢)؟

(١) كلما نقله هنا عن الصواعق موجود في أثناء كلامه في الحديث الثلاثين من الاحاديث التي أوردها في الفصل الثالث من الباب الحادى عشر «المؤلف».

(٢) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٧٣، المعجم الكبير: (٢٨٦٧)، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١٦، مجمع الزوائد ٩ / ١٩٩.

ص: ٧٧

وروى ابن سعد (١) - كما في الصواعق أيضاً - أنها بكت حينئذ حتى غشى عليها.

وأخرج أبو نعيم الحافظ في الدلائل عنها - كما نقله السيوطي (٢) - قالت: سمعت الجن تبكي على الحسين وتنوح عليه.

وأخرج ثعلب في أماليه - كما في تاريخ الخلفاء أيضاً - عن أبي خباب الكلبي، قال: أتيت كربلاء، فقلت لرجل من أشراف العرب: أخبرني بما بلغني أنكم تسمعون من نوح الجن؟ فقال: ما تلقى أحداً إلا أخبرك أنه سمع ذلك، قال: فأخبرني بما سمعت أنت؟ قال سمعتهم يقولون:

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش وجده خير الجدود
وأخرج أبو نعيم الحافظ في كتابه دلائل النبوة عن

(١) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٧٣، وراجع: ترجمة الامام الحسين ومقتله من طبقات ابن سعد: ٨٧ رقم ٣٠١، وحكاة سبط ابن الجوزي في تذكرة خواص الامة: ٢٦٧ عن ابن سعد أيضاً.

(٢) في أحوال يزيد، من كتابه تاريخ الخلفاء «المؤلف».

ص: ٧٨

نصرة الازدية قالت: لما قتل الحسين بن علي أمطرت السماء دماً، فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دماً (١).

قال ابن حجر - بعد إيراده في الصواعق -: وكذا روى في أحاديث غير هذه.

قال: ومما ظهر يوم قتله من الايات أيضاً: أن السماء اسودت اسوداداً عظيماً حتى رؤيت النجوم نهاراً.

قال: ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط (٢).

وأخرج أبو الشيخ - كما في الصواعق أيضاً - أن السماء احمرت لقتله (عليه السلام)، وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النار، وظن الناس أن القيامة قد قامت.

قال: ولم يرفع حجر في الشام إلا روى تحته دم عبيط (٣).

وأخرج عثمان بن أبي شيبة - كما في الصواعق وغيرها -: أن الشمس مكثت بعد قتله (عليه السلام) سبعة أيام ترى

(١) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٨، مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٨.

(٣) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٩، مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٥٠.

على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدة حرمتها، وضربت الكواكب بعضها بعضاً^(١).

قال في الصواعق: ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين: أن الدنيا اظلمت ثلاثة أيام، ثم ظهرت الحمرة في السماء.

قال: وقال أبو سعيد: ما رفع حجر من الدنيا إلا وجد تحته دم عبيط، ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت.

قال: وأخرج الثعلبي: أن السماء بكت وبكاؤها حرمتها، وقال غيره: احمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك، وأن ابن سيرين قال: أخبرنا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين (عليه السلام)، قال: وذكر ابن سعد: أن هذه الحمرة لم تر في السماء قبل قتله^(٢).

إلى آخر ما هو مذكور في كتب السنة، مما يدل على

(١) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٩، المعجم الكبير: (٢٨٣٩)، مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٤٩، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١٢.

(٢) الصواعق المحرقة ٢ / ٥٦٩ - ٥٧٠.

انقلاب الكون بمقتله (عليه السلام)، وأنه قد بكته السماء وصخور الأرض دماً^(١).

(١) وللمزيد من المصادر التي تعرفك على البيانات التي ظهرت بعد شهادة الامام الحسين (عليه السلام) راجع: صحيح الترمذي ١٣ / ٩٧، المناقب لاحمد، عمدة القارى ١٦ / ٢٤١، جامع الاصول ١٠ / ٢٥، الاصابة ١ / ٣٣٤.

تفسير ابن كثير ٩ / ١٦٢، تاريخ الخلفاء: ٨٠، الكامل في التاريخ ٣ / ٢٩٦ و ٣٠١، المعجم الكبير: (٢٨٣٠) و (٢٨٣٤) و (٢٨٣٩) و (٢٨٥٧) و (٢٨٥٨)، مجمع الزوائد ٩ / ١٩٧، نور الابصار: ١٢٣، الفصول المهمة: ١٧٩، المحاسن والمساوي: ٦٢، أخبار الدول: ١٠٩، تهذيب التهذيب ٢ / ٣٥٣، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣١٢، تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣، أسد الغابة ٢ / ٢٢، مجابى الدعوة: ٣٨، الانس الجليل: ٢٥٢، العقد الفريد ٢ / ٢٢٠، مقتل الحسين ٢ / ٨٩ - ٩١ و ١٠١، كفاية الطالب: ٢٨٤ و ٢٨٩ و ٢٩٥ و ٢٩٦، تاريخ الاسلام ٢ / ٣٤٨ و ٣٤٩، نظم درر السمطين: ٢٢٠، الاخبار الطوال: ١٠٩، وسيلة المآل: ١٩٧، الخصائص الكبرى ٢ / ١٢٦ و ١٢٧، حياة الحيوان ١ / ٦٠، تاريخ الامم والملوك ٤ / ٣٢٧ و ٣٥٧، الشرف المؤبد: ٦٨، إسعاف الراغبين: ١١١ و ٢١٥ و ٢١٨ و ٢٥١، تاج العروس ٣ / ١٩٦، الكواكب الدرية: ٥٧.

وراجع من مصادر الشيعة مذكره العلامة المجلسي في البحار ٢٠١/٤٥ - ٢١٩ الباب ٤٠.

ص: ٨١

ولو فرض خصمنا جاهلاً بما في تلك الكتب مما سمعت بعضه، فهل يجهل ما قام به ابن نباته خطيباً على أعواده، وتركه سنة لخطباء المسلمين في الجمعة الثانية من المحرم في كل سنة، وإليك ما اشتملت عليه تلك الخطبة بعين لفظه:

قال: بكت لموته الارض والسموات، وأمطرت دماً، وأظلمت الافلاك من الكسوف، واشتدّ سواد السماء، ودام ذلك ثلاث أيام، والكواكب في أفلاكها تنهافت، وعظمت الاهوال حتى ظنّ أنّ القيامة قد قامت.

قال: كيف لا وهو ابن السيدة فاطمة الزهراء، وسبط سيد الخلائق دنياً وآخرة، وكان عليه الصلاة والسلام من حبه في الحسين يقبل شفتيه، ويحمله كثيراً على كتفيه، فكيف لو رآه ملقى على جنبه، شديد العطش والماء بين يديه، وأطفاله يصيحون بالبكاء عليه؟؟ لصاح عليه الصلاة

ص: ٨٢

والسلام، وخرّ مغشياً عليه.

قال: فتأسفوا رحمكم الله على هذا السبط السعيد الشهيد، وتسألوا بما أصابه عما سلف لكم من موت الاحرار والعبيد، واتقوا الله حق تقواه.

قال: وفي الحديث: إذا حشر الناس في عرصات القيامة، نادى مناد من وراء حجب العرش: يا أهل الموقف، غصّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمد، فتجوز وعليها ثوب مخضوب بدم الحسين، وتتعلّق بساق العرش وتقول: «أنت الجبار العدل، اقضى بينى وبين من قتل ابنى»، فيقضى الله بينها وبينه، ثم تقول: «اللهم شفّعنى فيمن بكى على مصيبتى»، فيشفّعها الله تعالى فيهم... إلى آخر كلامه.

[إبك لبكاء الشمس والقمر]

فهل بعد هذا كلّ - تقول: إنّ البكاء على مصائب أهل البيت بدعة؟!

وهب أنّك لا ترجوا شفاعة الزهراء، ولا تبكى

ص: ٨٣

لبكاء الانبياء والاولياء، فابك لبكاء الشمس والقمر، ولا يكن قلبك أقسى من الحجر، إبك لبكاء عمر بن سعد أو عمرو بن الحجاج والاخنس بن يزيد ويزيد بن معاوية أو خولى والسالب لحنى فاطمة بنت الحسين (عليه السلام)، إبك لبكاء العسكر بأجمعه، فقد شهدت كتب السير بكاءهم مع خبث أمهاتهم وآبائهم.

أحسن منك - وأنت مسلم - أن يصاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الفجائع، وتحل بساحته تلك القوارع، ثم تتخذها ظهرياً، وتكون عندك نسياً منسياً؟! ما هذا شأن أهل الوفاء، ولا بهذا تكون المواساة لسيد الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم إن الانقلاب الهائل، وتلك الاحوال المدهشة - من الخسوف، والكسوف، ورجف الارض، وظلمة الافق، وتهافت النجوم، وحمرة السماء، وبكاء الصخر الاصم دماً - لم تكن إلاّ إظهاراً لغضب الله عز وجل، وتنبهاً على

فضاعة الخطب، وتسجيلاً لتلك النازلة في صفحات الافق، لئلا تنسى على مرّ الليالي والايام، وفيها من بعث
الناس على استشعار الحزن وادثار الكآبة ما لا يخفى على أولى

ص: ٨٤

الالباب.

ص: ٨٥

فصل

أسرار مآتمنا المختصة بأهل البيت (عليهم السلام)

علم الباحثون من مدققى الفلاسفة: أنّ فى مآتمنا المختصة بأهل البيت (عليهم السلام) أسراراً شريفة (١)، تعود
على

(١) تَبَهَّكْ إلى بعضها حكيمَا الغربيين وفيلسوفَا المستشرقين: الدكتور جوزف الفرنساوى فى كتابه: (الاسلام
والمسلمون)، والمسيو ماريين الالمانى فى كتابه (السياسة الاسلامية).

وقد ترجمت جريدة (حبل المتين) الفارسية فى ٨٢ من أعداد سنة ١٧ فصلين من ذينك الكتابين النفيسين،
يحتويان على أسرار شهادة الحسين وفلسفة مآتمه (عليه السلام)، فكان لهما دوى فى العالم الاسلامى، وأخذوا فى
الشرق دوراً مهماً، وترجما بالتركية والهندية، وعربهما العلامة الباحث السيد صدر الدين الموسوى نجل آية الله
السيد إسماعيل الصدر، فنشرت مجلة العلم أحد الفصلين، ومجلة العرفان نشرت الاخر.

وإليك مذكره الدكتور جوزف تحت عنوان (الشيعة وترقياتها المحيرة للعقول)، قال من جملة كلام له طويل:

لم تكن هذه الفرقة - يعنى الشيعة - ظاهرة فى القرون الاولى الاسلاميه كأختها، ويمكن أن تنسب قتلهم إلى سببين:

أحدهما: أن الرئاسة والحكومة التى هى سبب ازدياد تابعى المذهب كانت بيد الفرقة الاخرى.

والسبب الاخر: هو القتل والغارات التى كانت تتوالى عليهم.

ونظراً لحفظ نفوس الشيعة حكم أحد أئمتهم فى أوائل القرن الثانى عليهم بالتقية، فزادت فى قوتهم، لعدم تمكن العدو القوى الشكيمة من قتلهم والاغارة عليهم، بعد أن لم يكونوا ظاهرين، وصاروا يعقدون المجالس سرّاً ويكون على مصائب الحسين، واستحكمت هذه العاطفة فى قلوبهم على وجه لم يمض زمان قليل إلاّ وارتقوا، حتى صار منهم الخلفاء والولاة والوزراء، وهؤلاء بين من أخفى مذهبه وتشيعه، وبين من أظهره.

وبعد أمير تيمور، حيث رجعت السلطنة فى إيران إلى الصفوية، صارت إيران مركز فرقة الشيعة، وبمقتضى تخمين بعض سواح فرنسا أن الشيعة فعلاً: سدس المسلمين أو سبعهم.

[الاحصائيات الان تثبتنا بأن الشيعة تتراوح نسبتهم بين الربع والثلث من عدد المسلمين].

ونظراً إلى هذا الترقى الذى حازته فرقة الشيعة فى زمان قليل، من دون جبر وإكراه، يمكن أن يقال: إنهم سيفوقون سائر فرق الاسلام بعد قرن أو قرنين.

والسبب فى ذلك هو إقامة عزاء الحسين الذى قد جعله كل واحد منهم داعياً إلى مذهبه، ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد أو الاثنان من الشيعة إلاّ ويقيمان فيه عزاء الحسين، ويبدلان فى هذا السبيل الاموال الكثيرة.

فقد رأيت فى نزل ما رسل شيعياً عربياً من أهالى البحرين يقيم مأتم الحسين وهو منفرد، ويرقى المنبر ويقرأ فى كتاب ويبكى، ثم يقسم ما أحضره من الطعام على الفقراء.

هذه الطائفة تبذل الاموال فى هذا السبيل على وجهين:

فبعضهم يبذلها من خالص أمواله فى كل سنة بقدر استطاعته، وصرفيات هذا القسم تزيد على ملايين فرنك.

وبعضهم يعين أوقافاً لهذا المشروع لخصوص هذه الطائفة، وهذا القسم أضعاف الاول.

ويمكن أن يقال: إن جميع فرق الاسلام من حيث المجموع لا يبذلون فى سبيل تأييد مذهبهم بمقدار ما تبذله هذه الفرقة فى سبيل ترقيات مذهبها، وموقوفات هذه الفرقة ضعفاً أوقاف سائر المسلمين، أو ثلاثة أضعافها.

كل واحد من هذه الفرقة هو فى الحقيقة داع إلى مذهبه من حيث يخفى على سائر المسلمين، بل إن الشيعة أنفسهم لا يدركون هذه الفائدة المترتبة على عملهم، وليس فى نظرهم إلا الثواب الاخرى.

ولكن حيث أن كل من عمل فى هذا العالم لا بد وأن يكون له أثر طبيعى فى العالم الاجتماعى، قصده الفاعل أو لم يقصده، لم تحرم هذه الفرقة فوائد هذا العمل الطبيعية فى هذا العالم.

ومن المعلوم أن مذهباً دعاه خمسون أو ستون مليوناً لا بد وأن يرتقى أربابه على وجه التدرج إلى ما يليق بشأنهم، حتى أن الرؤساء الروحانيين من هذه الفرقة وسلاطينها ووزرائها لم يخرجوا عن صفة كونهم دعاة، وسعى الفقراء والضعفاء فى محافظة إقامة عزاء الحسين من حيث انتفاعهم من هذا الباب أكثر من الاعيان والاكابر، لانهم يرون فى ذلك خير الدنيا والاخرة.

لهذا ترى جماعة كثيرين من عقلاء هذه الفرقة قد تركوا سائر أشغالهم المعاشية وتفرغوا لهذا العمل، وهم يكابدون المشاق فى تحرى العبارات الرائقة والجمال الواضحة عند إلقاء فضائل رؤساء دينهم ومصائب أهل البيت على المنابر فى المجالس العمومية، ولجل هذه المشقات التى اختارتها هذه الجماعة فاق خطباء هذه الفرقة على خطباء جميع فرق المسلمين.

وحيث أن تكرار الامر الواحد يوجب اشمئزاز القلوب ومللها وعدم التأثير، تسعى هذه الجماعة فى ذكر تمام المسائل الاسلامية الراجعة إلى مذهبهم بهذا العنوان على المنابر، حتى آل الامر إلى عوام الشيعة بفضل هؤلاء الخطباء أن أصبحوا أعرف بمسائل مذهبهم من معرفة كل فرقة من فرق المسلمين بمذهبها، كما أن اكتساب الشيعة واحترافهم بهذه الوسيلة وسائر الوسائل الراجعة إليها أيضاً أكثر من سائر المسلمين.

ولو نظرنا اليوم فى أقطار العالم، نرى أن الافراد التى هى أولى بالمعرفة والعلم والصناعة والثروة إنما توجد بين الشيعة، والدعوة التى قام بها الشيعة إلى مذهبهم أو سائر الفرق الاسلامية غير محدودة، بل أن آحاد وأفراد الطائفة دعاة، ما دخلوا بين أمة إلا وسرى هذا الاثر فى قلوبها، وليس العدد الذى نراه اليوم فى الهند من الشيعة إلا هو أثر إقامة هذه المآتم.

الشيعة لم تؤيد دينها بقوة ولا سيف، حتى فى زمن الصفوية، بل أنهم بلغوا هذه الدرجة من الترقى المحير للعقول بقوة الكلام والدعوة التى أثرها أمضى من السيف.

ولقد بلغ اهتمام هذه الفرقة فى أداء مراسم مذهبها مبلغاً عظيماً، حتى جعلت ثلثى المسلمين من أتباع سيرتها، بل اشترك معها كثير من الهنود والمجوس وسائر المذاهب.

ومن المعلوم أن بعد مضى قرن ووصل هذه الاعمال بالارث إلى أبناء أولئك الطوائف يذعنون بها ويصدقون هذا المذهب.

وبما أن فرقة الشيعة تعتقد بان جميع المطالب والمقاصد موكول نجاحها إلى أكابر مذهبهم، وهم يفرعون إليهم فى قضاء الحوائج، ويستمدون منهم عند الشدائد، سرت هذه الروح أيضاً إلى سائر الفرق التى اشتركت معهم فى تلك الاعمال والافعال، ومن المعلوم أن بمجرد قضاء حاجتهم وبلوغ آمالهم تزداد عقيدتهم بهذا المذهب رسوخاً.

من هذه القرائن والاسباب يمكننا أن نقول: لا يمضى على هذه الفرقة زمان قليل إلا وتفوق سائر المسلمين من حيث العدد، وكانت هذه الفرقة قبل قرن أو قرنين تلازم التقية - فيما عدا إيران - نظراً لقلّتهم، وعدم قدرتهم على إظهار شعائر مذهبهم، ولكن من يوم استولت الدولة الغربية على الممالك الشرقية ومنحت جميع المذاهب الحرية قامت هذه الفرقة تقيم شعائر مذهبها علناً فى كل مكان، واستفادوا من هذه الحرية فائدة تامة حتى أنهم تركوا التقية.

لهذه الاسباب المذكورة كانت هذه الفرقة أعرف من غيرها بمقتضيات العصر الحاضر، وأكثر سعيًا باكتساب المعاش وتحصيل المعارف، لذلك ترى العمال فى هذه الفرقة أكثر مما تراه فى سائر فرق المسلمين، لاشتغال الغالب منهم المستلزم لمتابعة غير الغالب، مضافاً إلى أن مثابرتهم على العمل مما توجب احتياج الغير إليهم، كما أن اختلاطهم مع سائر الفرق وصلاتهم الودادية مع غيرهم تلازم غالباً اشتراك الغير فى مجالسهم ومحافلهم، فيسمعون أصول مذهبهم، ويصغون إلى كلماتهم وعباراتهم، ويتكرار ذلك يأنسون بطريقتهم ومذهبهم.

وهذا هو عمل الدعاة، والاثر الذى يترتب على هذه السيرة هو الاثر الذى يتطلبه جميع سياسة الغرب فى رقى دين المسيح مع تلك المصارف الباهظة.

ومن جملة الامور السياسة التى أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصيغة مذهبيه منذ قرون وأوجبت جلب قلب البعيد والقريب هو: قاعدة التمثيل باسم الشبيه فى مآثم الحسين، وقد قرر حكماء الهند التمثيل لاغراض ليس هذا موضع ذكرها وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أوربا وأخرجته بمقتضى السياسة بصورة التفرج، وصارت تمثل الامور المهمة السياسية فى دور التمثيل الخاصة والعامة، وجلبت القلوب بسببه، وأصابته بسهم غرضين: تفريج النفوس وجلب القلوب فى الامور السياسية، والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة وأظهرته بصيغة دينيه، ويمكن القول بأن الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود.

وكيف كان، فالاثر الذى ينبغى أن يعود من التمثيل إلى قلوب الخواص والعوام قد عاد، ومن المعلوم أن تواتر إقامة المآثم وذكر المصائب الواردة على أكابر دينهم، والمظالم التى وردت على الحسين، مع تلك الاخبار الواردة

ص: ٨٧

ص: ٨٨

ص: ٨٩

ص: ٩٠

ص: ٩١

ص: ٩٢

ص: ٩٣

ص: ٩٤

الامة بصلاح آخرتها ودنياها، أتبهك إليها بذكر بعضها، وأوكل الباقي إلى فطنتك:

فمنها: إنها جامعة إسلامية ورابطة إمامية باسم النبي وآله (صلى الله عليه وآله)، ينبعث عنها الاعتصام بحبل الله عز وجلّ والتمسك بثقلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفيها من اجتماع القلوب على أداء أجر الرسالة بمودة القربى، وترادف العزائم على إحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام) ما ليس في غيرها.

وحسبك في رجحانها ما يتسنى بها للحكيم من إلقاء المواعظ والنصائح، وإيقاف المجتمعين على الشؤون الإسلامية والامور الامامية ولو إجمالاً، وبذلك يكون أمل العاملى نفس أمل إخوانه فى العراق وفارس والبحرين

ص: ٩٥

والهند وغيرها من بلاد الاسلام.

ولا تنسَ ما يتهيأ للمجتمعين فيها من الاطلاع على شؤونهم، والبحث عن شؤون إخوانهم النائبين عنهم، وما يتييسر لهم حينئذ من تبادل الاراء فيما يعود عليهم بالنفع، ويجعلهم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً، أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو أنّت له سائر الاعضاء، وبذلك يكونون مستقيمين في السير على خطة واحدة يسعون فيها وراء كلّ ما يرمون إليه.

ومنها: إنّ هذه المآتم دعوة إلى الدين بأحسن صورة وأطف أسلوب، بل هي أعلا صرخة للاسلام توقظ الغافل من سباته، وتنبيه الجاهل من سكراته، بما تشربه في قلوب المجتمعين، وتنفضه في آذان المستمعين، وتبثه في العالم وتصوره قالباً لجميع بنى آدم، من أعلام الرسالة، وآيات الاسلام، وأدلة الدين، وحجج المسلمين، والسيرة النبوية، والخصائص العلوية، ومصائب أهل البيت في سبيل الله، وصبرهم على الاذى في إعلاء كلمة الله.

فأولوا النظر والتحقيق يعلمون أنّ خطباء هذه المآتم

ص: ٩٦

كلّهم دعاة إلى الدين من حيث لم يقصدوا ذلك، بل لا مبشر بالاسلام على التحقيق سواهم، وأنّ تعلم أنّ الموظفين لهذا العمل الشريف لا يقصرون في أنحاء البسيطة عن الالوف المؤلفة، فلو بذل المسلمون شطر أموالهم ليوظفوا دعاة إلى دينهم بعدد أولئك الخطباء ما تيسر ذلك لهم، ولو تيسر فلا يتييسر من يستمع الدعوة على ممر الدهور استماع الناس لما يتلى في هذه المآتم بكلّ رغبة وإقبال.

ومنها: ماقد أثبتته العيان وشهد به الحس والوجدان من بثّ روح المعارف بسبب هذه المآتم، ونشر أطراف من العلوم ببركتها، إذ هي - بشرط كونها على أصولها - أرقى مدرسة للعوام، يستضيئون فيها بأنوار الحكم من جوامع الكلم، ويلتقطون منها درر السير، ويقفون بها على أنواع العبر، ويتلقون فيها من الحديث والتفسير والفقه ما يلزمهم حملة ولا يسعهم جهله، بل هي المدرسة الوحيدة للعوام في جميع بلاد الاسلام.

وقد تفنّن خطباؤها في ما يصدعون به أولاً على أعوادها، ثم يتخلصون منه إلى ذكر المصيبة وتلاوة

ص: ٩٧

الفاجعة:

فمنهم من يشنف المسامع ويشرف الجوامع بالحكم النبوية والمواعظ العلوية، أو يتلو أولاً من كلام أئمة أهل البيت ما يقرب المستمعين إلى الله ويأخذ بأعناقهم إلى تقواه.

ومنهم من يتلو أولاً من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وتاريخ أوصيائه (عليهم السلام) ما يبعث المستمعين على مودتهم ويضطرهم إلى بذل الجهد في طاعتهم.

ومنهم من ينبّه الأفكار أولاً إلى فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومقام أوصيائه (عليهم السلام) بما يسرده من الأحاديث الصحيحة والآيات المحكمة الصريحة.

ومنهم من يتلو أولاً من الأحكام الشرعية والعقائد الدينية ما تعمّ به البلوى للمكلفين ولا مندوحة عن معرفته لاحد من العالمين.

هذه سيرتهم المستمرة أيام حياتهم، فهل ترى بجذك للعوام مدرسة تقوم مقامها في جسيم فوائدها وعظيم مقاصدها؟ لا وسرّ الحكماء الذين بعثوا شيعتهم عليها

ص: ٩٨

وحكمة الاوصياء الذين أرشدوا أوليائهم إليها.

ومنها: الارتقاء في الخطابة والعروج إلى منتهى البراعة، كما يشهد به الوجدان، ولا نحتاج فيه إلى برهان.

ومنها: العزاء عن كل مصيبة، والسلوة لكل فادحة، إذ تهون الفجائع بذكر فجائعهم، وتنسى القوارع بتلاوة قوارعهم، كما قيل في رثائهم (عليه السلام):

أنست رزيتكم رزاينا التي سلفت وهوت الرزايا الاتية
ومنها: إنعاش أهل الفاقة وإثلاج أكباد حرّاً من أهل المسكنة على الدوام، بما ينفق في هذه المآتم من الاموال في سبيل الله عز وجل، وما ييذل فيها لاهل المسغبة وغيرهم، وأنت تعلم أنّه لا وسيلة لقراء تلك المآتم في التعيش غالباً إلاّ هذه الوظيفة، وهم من الرجال والنساء - بقطع النظر عن يقومون بنفقته - ألوف مؤلفة يعيشون ببركة أهل البيت ويتنعمون بيمين مآتمهم (عليهم السلام).

ومنها: إن المصلحة التي استشهد الحسين - بأبي وأمي

ص: ٩٩

- في سبيلها وسفك دمه الزكي تلقاءها، تستوجب استمرار هذه المآتم، وتقتضى دوامها إلى يوم القيامة.

وبيان ذلك: إنّ المناققين حيث دفعوا أهل البيت عن مقامهم، وأزالوهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، ظهروا للناس بمظاهر النيابة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأظهروا التأييد لدينه والخدمة لشريعته، فوقع الالتباس واغترّب بهم أكثر الناس، ولما ملكوا من الامة أزمته واستسلمت لهم برمتها، حرّموا - والناس في سنة عن سوء مقاصدهم - من حلال الله ما شأؤوا، وحلّلوا من حرامه ما أرادوا، وعاثوا في الدين وحكموا في القاسطين، فسلموا أعين أولياء الله، وقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبوه على جذوع النخل، ونفوه عن عقر ديارهم، حتّى تفرقوا أيدي سبا، ولعنوا أمير المؤمنين (عليه السلام) وكنّوا به عن أخيه الصادق الامين (صلى الله عليه وآله وسلم).

فلو دامت تلك الاحوال، وهم أولياء السلطة المطلقة والرئاسة الروحانية، لما أبقوا للاسلام عيناً ولا أثراً، لكن ثار الحسين (عليه السلام) فادياً دين الله عز وجل بنفسه وأحبائه

ص: ١٠٠

حتى وردوا حياض المنايا، ولسان حاله يقول:

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلى يا سيوف خذيني
فاستنقذ الدين من أيدي الظالمين، وانكشف الغطاء بوقوع تلك الرزايا عن نفاق القوم، حتى تجلت عداوتهم لله عز
وجل وظهر انتقامهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

إذ لم يكتفوا بقتل الرجال من بنيه عطاشاً والماء تعبت فيه خنازير البرّ وكلابه، ولم يقنعوا بذبح الاطفال من أشباله
أحياء وقد غارت أعينهم من شدة العطش، ولا اكتفوا باستئصال العترة الطاهرة ونجوم الارض من شيبة الحمد.

حتى وطأوا جثثهم بسنابك الخيل، وحملوا رؤوسهم على أطراف الاسنة، وتركوا أشلاءهم الموزعة عارية بالعراء
مباحة لوحوش الارض وطير السماء.

ثم أبرزوا ودائع الرسالة وحرائر الوحي مسلبات، وطافوا البلاد بهنّ سبايا، كأنهنّ من كوافر البربر، حتى أدخلوهن
تارة على ابن مرجانة، وأخرى على ابن آكلة

ص: ١٠١

الاكباد، وأوقفوهن على درج الجامع في دمشق حيث تباع جوارى السبي.

فلم تبق بعدها وقفة من عداوتهم لله، ولا ريبة بنفاقهم في دين الاسلام.

[ما كان ليزيد أن يرتكب ما ارتكب لولا ما مهّده سلفه]

وعلم حينئذ أهل البحث والتنقيب من أولى الابواب أنّ هذه أمور دبرت بليل، وأنّها عن عهد السلف بها إلى خلفه،
وما كانت ارتجالاً من يزيد، وما المسبب لو لم ينجح السبب.

ثم لم تنزل أنوار هذه الحقيقة تتجلى لكل من نظر نظراً فلسفياً في فجائع الطف وخطوب أهل البيت، أو بحث بحث مدقق عن أساس تلك القوارع وأسباب هاتيك الفظائع.

وقد علم أهل التدقيق من أولى البصائر أنه ما كان لهذا الفاجر أن يرتكب من أهل البيت ما ارتكب، لولا ما مهدده

ص: ١٠٢

سلفه من هدم سورهم وإطفاء نورهم وحمله الناس على رقابهم وفعله الشنيع يوم باهم.

[لولا ما بذله الحسين لامسى الاسلام خبراً من الاخبار]

وتالله لولا ما بذله الحسين (عليه السلام) في سبيل إحياء الدين من نفسه الزكية ونفوس أحبائه بتلك الكيفية، لامسى الاسلام خبراً من الاخبار السالفة (١)، وأضحى المسلمون

(١) كما شهد به العظماء من فلاسفة الغرب، وإليك مذكره المسيو ماريين في كتابه (السياسة الاسلامية) بعين لفظ المعرب، قال من جملة كلام طويل:

لا يشك صاحب الوجدان إذا دقق النظر في أوضاع ذلك العصر، وكيفية نجاح بنى أمية في مقاصدهم واستيلائهم على جميع طبقات الناس وتزلزل المسلمين، أن الحسين قد أحيا بقتله دين جدّه وقوانين الاسلام، وإن لم تقع تلك الواقعة ولم تظهر تلك الحسيات الصادقة بين المسلمين لاجل قتل الحسين، لم يكن الاسلام على ما هو عليه الان قطعاً، بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه، حيث كان يومئذ حديث العهد.

عزم الحسين إنجاح هذا المقصد وإعلان الثورة ضد بنى أمية من يوم توفى والده، فلما قام يزيد مقام معاوية خرج الحسين من المدينة، وكان يظهر مقصده العالى ويثبت روح الثورة في المراكز المهمة الاسلامية كمكة والعراق وأينما حلّ، فازداد به نفرة قلوب المسلمين التي هي مقدمة الثورة من بنى أمية، ولم يكن يجهل يزيد مقاصد الحسين، وكان يعلم أن الثورة إذا أعلنت في جهة والحسين قائدها مع تنفر المسلمين عموماً من حكومة بنى أمية وميل القلوب وتوجه الانظار إلى الحسين، عمّت جميع البلاد، وفي ذلك زوال ملكهم وسلطانهم، فعزم يزيد قبل كل شيء من يوم بويع على قتل الحسين.

ولقد كان هذا العزم أعظم خطأ سياسى صدر من بنى أمية، الذى جعلهم نسياً منسياً، ولم يبق منهم أثر ولا خبر.

وأعظم الادلة على أن الحسين أقدم على قتل نفسه، ولم تكن فى نظره سلطنة ولا رئاسة، هو: أنه مضافاً إلى ما كان عليه من العلم والسياسة والتجربة التى وقف عليه زمن أبيه وأخيه فى قتال بنى أمية، كان يعلم أنه مع عدم تهينة الاسباب له واقتدار يزيد لا يمكنه المقاومة والغلبة، وكان يقول من يوم توفى والده إنه يقتل، وأعلن يوم خروجه من المدينة أنه يمضى إلى القتل، وأظهر ذلك لأصحابه والذين اتبعوه من باب إتمام الحجة، حتى يتفرق الذين التفوا حوله طمعاً بالدنيا، وطالما كان يقول: خير لى مصرع أنا ملاقيه.

ولو لم يكن قصده ذلك ولم يكن عالماً عامداً، لَجَمَعَ الجنود ولسعى فى تكثير أصحابه وزيادة استعداده، لا أن يفرق الذين كانوا معه.

ولكن لما لم يكن له قصد إلا القتل، مقدمة لذلك المقصد العالى وإعلان الثورة المقدسة ضد يزيد، رأى أن خير الوسائل إلى ذلك الوحدة والمظلومية، فإن أثر هكذا مصائب أشدّ وأكثر فى القلوب.

من الظاهر أن الحسين مع ما كانت له من المحبوبة فى قلوب المسلمين فى ذلك الزمان، لو كان يطلب قوة واستعداداً لامكنه أن يخرج إلى حرب يزيد جيشاً جراراً، ولكنه لو وضع ذلك لكان قتله فى سبيل طلب السلطنة والامارة، ولم يفز بالمظلومية التى انتجت تلك الثورة العظيمة، هذا هو الذى سبب أن لا يبقى معه أحداً إلا الذين لا يمكن انفكاكهم عنه، كأولاده وإخوانه وبنى إخوته وبنى أعمامه وجماعة من خواص أصحابه، حتى أنه أمر هؤلاء أيضاً بمفارقتهم، ولكنهم أبوا عليه ذلك، وهؤلاء أيضاً كانوا من المعروفين بين المسلمين بجلالة القدر وعظم المنزلة، وقتلهم معه مما يزيد فى عظم المصيبة وأثر الواقعة.

نعم، إن الحسين بمبلغ علمه وحسن سياسته بذل كمال جهده فى إفشاء ظلم بنى أمية، واطهار عداوتهم لبنى هاشم، وسلك فى ذلك كل طريق، لما كان يعلم من عداوة بنى أمية له ولبنى هاشم، ويعرف أنهم بعد قتله يأسرون عياله وأطفاله، وذلك يؤيد مقصده، ويكون له أثر عظيم فى قلوب المسلمين، سيما العرب، كما وقع ذلك حملهم معه وجاء بهم من المدينة.

نعم، إن ظلم بنى أمية وقساوة قلوبهم فى معاملاتهم مع حرم محمد وصباياه أثر فى قلوب المسلمين تأثيراً عظيماً لا ينقص عن أثر قتله وأصحابه، ولقد أظهر فى فعله هذا عقيدة بنى أمية فى الاسلام وسلوكهم مع المسلمين، سيما ذرارى نبيهم.

لهذا كان الحسين يقول فى جواب أصحابه والذين كانوا يمنعونهم عن هذا السفر: إني أمضى الى القتل.

ولما كانت أفكار المانعين محدودة وأنظارهم قاصرة لا يدركون مقاصد الحسين العالوية، لم يألوا جهدهم في منعه، وآخر ما أجابهم به أن قال لهم: شاء الله ذلك، وجدّي أمرني به، فقالوا: إن كنت تمضي إلى القتل فما وجه حملك النسوة والاطفال؟ فقال: إن شاء الله ان يراهن سبايا، ولما كان بينهم رئيساً روحانياً لم يكن لهم بد عن السكوت.

ومما يدلّ على أنه لم يكن له غرض إلاّ ذلك المقصد العالوي الذي كان في نفسه، ولم يتحمل تلك المصائب لسلطنة وامارة، ولم يقدم على هذا الخطر من غير علم ودراية، كما يصوره بعض المؤرخين من أنّه قال لبعض ذوى النباهة قبل الواقعة بأعوام كثيرة على سبيل التسلية: إنّ بعد قتلى وظهور تلك المصائب المحزنة يبعث الله رجالاً يعرفون الحق من الباطل يزورون قبورنا ويبكون على مصابنا ويأخذون بثأرنا من أعدائنا، وأولئك جماعة ينشرون دين الله وشرعية جدّي، وأنا وجدّي نحبيهم، وهم يحشرون معنا يوم القيامة.

ولو تأمل المتأمل في كلام الحسين وحركاته، يرى أنّه لم يترك طريقاً من السياسة إلاّ سلكه في إظهار شنائع بني أمية وعداوتهم القلبية لبني هاشم ومظلومية نفسه، وهذا مما يدلّ على حسن سياسته وقوة قلبه وتضحية نفسه في طريق الوصول إلى المقصد الذي كان في نظره، حتى أنّه في آخر ساعات حياته عمل عملاً حير عقول الفلاسفة، ولم يصرف نظره عن ذلك المقصد العالوي مع تلك المصائب المحزنة والهموم المتراكمة وكثرة العطش والجراحات، وهو قصة الرضيع، لما كان يعلم أنّ بني أمية لا يرحمون له صغيراً، رفع طفله الصغير تعظيماً للمصيبة على يده أمام القوم، وطلب منهم أن يأتوه شربة من الماء، فلم يجيبوه إلاّ بالسهم.

ويغلب على الظن أنّ غرض الحسين من هذا العمل تفهيم العالم بشدة عداوة بني أمية لبني هاشم، وأنّها إلى أي درجة بلغت، ولا يظن أحد أنّ يزيد كان مجبوراً على تلك الاقدامات الفجيعة لاجل الدفاع عن نفسه، لأنّ قتل الطفل الرضيع في ذلك الحال بتلك الكيفية ليس هو إلاّ توحش وعداوة سبعية منافية لقواعد كل دين وشرعية.

ويمكن أن تكون هذه الفاجعة كافية في افتضاح بني أمية ورفع الستار عن قبائح أعمالهم ونياتهم الفاسدة بين العالم، سيما المسلمين، وأنّهم يخالفون الاسلام في حركاتهم، بل يسعون بعصبية جاهلية إلى اضمحلال آل محمد وجعلهم أيدي سبا.

ونظراً لتلك المقاصد العالوية التي كانت في نظر الحسين، مضافاً إلى وفور علمه وسياسته التي كان لا يشك فيها اثنان، لم يرتكب أمراً يوجب مجبورية بني أمية للدفاع، حتّى أنّه مع ذلك النفوذ والاقدار الذي كان له في ذلك العصر، لم يسع في تسخير البلاد الاسلامية وضمّها إليه، ولا هاجم ولاية من ولايات يزيد، إلى ان حاصروه في واد غير ذي زرع، قبل أن تبدو منه أقل حركة عدائية، أو تظهر منه ثورة ضد بني أمية.

لم يقل الحسين يوماً سأكون ملكاً أو سلطاناً وأصبح صاحب سلطة، نعم كان يبيت روح الثورة في المسلمين بنشره شنائع بني أمية واضمحلال الدين إن دام ذلك الحال، وكان يخبر بقتله ومظلوميته وهو مسرور.

ولما حوَّصر في تلك الارض القفراء أظهر لهم من باب إتمام الحجّة بأنهم لو تركوه لرحل بعياله وأطفاله، وخرج من سلطنة يزيد، ولقد كان لهذا الاظهار الدال على سلامة نفس الحسين في قلوب المسلمين غاية التأثير.

قتل قبل الحسين ظلماً وعدواناً كثير من الرؤساء الروحانيين وأرباب الديانات، وقامت الثورة بعد قتلهم بين تابعيهم ضد الاعداء، كما وقع مكرراً في بني إسرائيل، وقصة يحيى من أعظم الحوادث التاريخية، ومعاملة اليهود مع المسيح لم ير نظيرها إلى ذلك العهد، ولكن واقعة الحسين فاقت الجميع.

ص: ١٠٣

ص: ١٠٤

ص: ١٠٥

ص: ١٠٦

ص: ١٠٧

ص: ١٠٨

أمة من الامم التالفة.

إذ لو بقى المنافقون على ماكانوا عليه من الظهور للعامة بالنبابة عن رسول الله والنصح لدينه (صلى الله عليه وآله) وهم أولياء السلطة المطلقة والارادة المقدسة، لغرسوا من شجرة النفاق ما

ص: ١٠٩

أرادوا، وبثوا من روح الزندقة ما شاءوا، وفعلوا بالدين ما توجهه عداواتهم له، وارتكبوا من الشريعة كل أمر يقتضيه نفاقهم.

[لولا ما تحمّله الحسين ما قامت لاهل البيت قائمة]

وأما - وشيبة الحسين المخضوبة بدمه الطاهر - لولا ما تحمّله سلام الله عليه في سبيل الله، ما قامت لاهل البيت (عليهم السلام) - وهم حجج الله - قائمة، ولا عرفهم - وهم أولو الامر - ممن تأخر عنهم أحد، لكنه - بأبي وأمي - فضح المنافقين، وأسقطهم من أنظار العالمين، واستلفت الابصار بمصيبته إلى سائر مصائب أهل البيت، واضطر

الناس بحلول هذه القارعة إلى البحث عن أساسها، وحملهم على التنقيب عن أسبابها، والفحص عن جذرها وبذرها، واستنهض الهمم إلى حفظ مقام أهل البيت (عليهم السلام) وحرّك الحمية على الانتصار لهم، لان الطبيعة البشرية والجبلة الانسانية تنتصر للمظلومين وتنتقم بجهدا من

ص: ١١٠

الظالمين.

فاندفع المسلمون إلى موالاة أهل البيت، حتّى كأنهم قد دخلوا - بعد فاجعة الطف - فى دور جديد، وظهرت الروحانية الاسلامية بأجلى مظاهرها، وسطع نور أهل البيت بعد أن كان محجوباً بسحائب ظلم الظالمين، وانتبه الناس إلى نصوص الكتاب والسنة فيهم (عليهم السلام)، فهدى الله بها من هدى لدينه، وضلّ عنها من عمى عن سبيله.

[علم الامام الحسين بما سيجرى فى كربلاء]

وكان الحسين - بأبى وأمى - على يقين من ترتب هذه الاثار الشريفة على قتله، وانتهاج رحله، وذبح أطفاله، وسبى عياله، بل لم يجد طريقاً لارشاد الخلق إلى الائمة بالحق واستنقاذ الدين من أئمة المنافقين - الذين خفى مكرهم وعلا فى نفوس العامة أمرهم - إلاّ الاستسلام لتلك الرزايا والصبر على هاتيك البلايا.

وما قصد كربلاء إلاّ لتحمل ذلك البلاء عهد معهود عن

ص: ١١١

أخيه عن أبيه عن جدّه عن الله عز وجل.

ويرشدك الى ذلك - مضافاً إلى أخبارنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة - دلائل أقواله وقرائن أفعاله، فانها نصّ فيما قلناه.

وحسبك منها جوابه لأُم سلمة، إذ قالت له - كما في البحار وجلاء العيون وغيرهما - يا بني، لا تحزن بخروجك إلى العراق، فاني سمعت جدك (صلى الله عليه وآله) يقول: «يقتل ولدى الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء»، فقال لها: «يا أماء، وأنا والله أعلم ذلك، وإنني مقتول لا محالة، وليس لي منه بد... وقد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولاً... ويرى حرمي مشردين، وأطفالي مذبحين...»(١).

وجوابه لآخيه عمر، إذ قال له حين امتنع من البيعة ليزيد: حدثني أخوك أبو محمد عن أبيه، ثم بكى حتى

(١) بحار الانوار ٤٤ / ٣٣١.

ص: ١١٢

علا شهيقة، فضمه الحسين إليه وقال - كما في الملهوف وغيره - «حدثك أني مقتول»، قال: حوشيت يا ابن رسول الله، فقال: «بحق أبيك، بقتلي خبرك»؟ قال: نعم، فلو بايعت، فقال (عليه السلام): «حدثني أبي: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبره بقتله وقتلي، وأن تربتي تكون بقرب تربته، أتظن أنك علمت ما لم أعلم»(١).

والرؤيا التي رآها في مسجد جدّه (صلى الله عليه وآله)، حين ذهب ليودعه، وقول النبي له فيها - كما في أمالي الصدوق وغيره - «بأبي أنت، كأني أراك مرماً بدمك بين عصاة من هذه الامة يرجون شفاعتي ما لهم عند الله من خلّاق»(٢).

(١) الملهوف: ٩٩ - ١٠٠، وتكملة الحديث: «وإنه لا أعطى الدنية من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة أباه شاكية مالتيت ذريتها من أمته، ولا يدخل الجنة أحدٌ آذاها في ذريتها».

(٢) أمالي الصدوق: ١٥٠ المجلس ٣٠.

وكتابه إلى بنى هاشم لما فصل من المدينة، وقوله فيه - كما فى الملهوف نقلاً عن رسائل ثقة الاسلام - «أما بعد، فان من لحق بى منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح» (١).

وخطبته ليلة خروجه من مكة، وقوله فيها - كما فى الملهوف وغيره - «كأنى بأوصالى تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكرىلاء...» إلى أن قال: «ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته موطئاً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإننى راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى» (٢).

وقوله - كما فى الملهوف وغيره - «لولا تقارب الاشياء وهبوط الاجل، لقاتلتهم بهؤلاء، ولكنى أعلم يقيناً أن هناك مصرعى ومصرع أصحابى، لا ينجو منهم إلا ولدى على» (٣).

(١) الملهوف: ١٢٩.

(٢) الملهوف: ١٢٦ - ١٢٧.

(٣) الملهوف: ١٢٦.

وجوابه لآخيه محمد بن الحنفية، إذ قال له - كما فى الملهوف وغيره - يا أخى، ألم تعدنى النظر فيما سألتك؟ قال: «بلى، ولكن أتانى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعدما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج، فان الله قد شاء أن يراك قتيلًا»، فقال ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هذه النسوة وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ فقال له: «قال لى: إن الله شاء أن يراهن سبايا» (١).

وجوابه لابن عباس وابن الزبير إذ أشارا عليه بالامسك، فقال لهما - كما فى الملهوف وغيره - «إن رسول الله قد أمرنى بأمر وأنا ماض فيه»، فخرج ابن عباس وهو يقول: واحسيناه (٢).

وجوابه لعبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد إذ حاولا منه الرجوع، فأبى وقال لهما - كما فى تاريخى ابن جرير وابن

(١) الملهوف: ١٢٨.

(٢) الملهوف: ١٠١.

ص: ١١٥

الاثير وغيرهما - «رأيت رؤيا رأيت فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمرت فيها بأمر أنا ماض له» (١).

وقوله فى كلام له مع ابن الزبير - كما فى تاريخى ابن جرير وابن الاثير وغيرهما - «وأيم الله، لو كنت فى حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فى حاجتهم، والله ليعتدنّ علىّ كما اعتدت اليهود فى السبت» (٢).

وقوله فى مقام آخر - كما فى كامل ابن الاثير وغيره - «والله لا يدعوننى حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفى، فاذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم، حتى يكونوا أدلّ من فرم المرأة» (٣)، يعنى: من خرقة الحيض.

وقوله لابی هرة - كما فى تاريخ ابن جرير وغيره :- «وأيم الله لتقتلنى الفئة الباغية».

(١) تاريخ الطبرى ٥ / ٣٨٨، الكامل فى التاريخ ٤ / ٤٠ - ٤١.

(٢) تاريخ الطبرى ٥ / ٣٨٥، الكامل فى التاريخ ٤ / ٣٨.

(٣) الكامل فى التاريخ ٥ / ٣٩، وراجع: تاريخ الطبرى ٥ / ٣٩٤.

ص: ١١٦

ورؤياه التى رآها لما ارتحل من قصر بنى مقاتل - كما فى تاريخ الطبرى وغيره - فقال حين انتبه «إنا لله وإنا له راجعون، والحمد لله رب العالمين»، قال: ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، قال: فأقبل إليه ابنه على بن الحسين على فرس له فقال: يا أبتاه جعلت فداك ممّ حمدت الله واسترجعت؟ فقال: «يا بنى، خفقت برأسى خفقة فعن لى فارس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعت إلينا»، فقال: يا أبت، لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟ قال: «بلى والذى إليه مرجع العباد»، قال: يا أبت، إذا لا نبالى نموت محقين، فقال له: «جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده» (١).

وقوله لما أخبر بقتل قيس بن مسهر الصيدأوى - كما فى تاريخ الطبرى وغيره :- (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (٢) «(٣).

(١) تاريخ الطبرى ٥ / ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٢) الاحزاب: ٢٣.

(٣) تاريخ الطبري ٥ / ٤٠٥.

ص: ١١٧

إلى غير ذلك من أقواله الصريحة بأنه كان على يقين مما انتهت إليه حاله، وأنه ما خرج إلا ليبذل في سبيل الله نفسه وجميع ما ملكته يده، ويضحى في إحياء دين الله: أولاده، وإخوته، وأبناء أخيه، وبنى عمومته، وخاصة أوليائه، والعقائل الطاهرات من نسائه.

إذ لم ير السبط للدين الحنيف شفا إلا إذا دمه في نصره سفكا
وما سمعنا عليلاً لا علاج له إلا بنفس مداويه إذ هلكا
بقتله فاح للاسلام طيب هدى فكلما ذكرته المسلمون ذكا
وصان ستر الهدى عن كل خائنة ستر الفواطم يوم الطف إذ هتكا

ص: ١١٨

نفسى الفداء لفاد شرع والده بنفسه وبأهليه وماملكا
قد آثر الدين أن يحيى فقحمها حيث استقام القنا الخطى واشتبكا(١)
(على أن الامر الذى انتهت إليه حاله كان من الواضح بمثابة لم تخف على أحد، وقد نهاه عن ذلك الوجه - جهلاً بمقاصده السامية - كثير من الناس، وأشفقوا عليه وأنذروه بلؤم بنى أمية وغدر أهل العراق:

فقال له أخوه محمد بن الحنفية - كما فى الملهوف وغيره -: يا أخى إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فان رأيت أن تقيم فانك أعز من فى الحرم

(١) هذه الابيات من قصيدة للشريف الفاضل السيد جعفر الحلي، يرثى بها جدّه (عليه السلام) «المؤلف».

ص: ١١٩

وأمنعه... فان خفت فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البر، فانك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد، فردّه الحسين (عليه السلام) برأفة ورفق، وقال: «أنظر فيما قلت» (١).

وأناه ابن عباس فقال: يا ابن عم قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع؟ قال: «إنّي قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى»، فقال له ابن عباس - كما في تاريخي الطبري وابن الاثير وغيرهما - فأنّي أعيذك بالله من ذلك، أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم؟! فان كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعمّاله تجبى بلادهم، فانهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك وأن يستنفروا إليك، فيكونوا أشدّ الناس عليك، فردّه الحسين (عليه السلام) ردّ رحمة وحنان فقال له:

(١) الملهوف: ١٢٧ - ١٢٨.

ص: ١٢٠

«أستخير الله وأنظر ما يكون» (١).

فخرج ابن عباس ثم جاءه مرة أخرى فقال له - كما فى تاريخى الطبرى وابن الاثير وغيرهما :- يا ابن عم انى أتصبر ولا أصبر، انى أتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم، فان أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن، فان بها حصوناً وشعاباً، وهى أرض طويلة عريضة، ولايبك بها شيعة، وأنت عن الناس فى عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعائك، فاني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية، فقال له الحسين (عليه السلام): «يا ابن عم، إنى والله لاعلم أنك ناصح مشفق، ولكن قد أزمعت وأجمعت على المسير»(٢).

(١) تاريخ الطبرى ٥ / ٣٨٣، الكامل فى التاريخ ٤ / ٣٧.

(٢) تاريخ الطبرى ٥ / ٣٨٣ - ٣٨٤، الكامل فى التاريخ ٤ / ٣٨ - ٣٩.

ص: ١٢١

ودخل عليه عمر بن عبد الرحمن المخزومى فقال له - كما فى تاريخى الطبرى وابن الاثير وغيرهما :- انى مشفق عليك، إنك تأتى بلداً فيه عماله وأمرؤه، ومعهم بيوت الاموال، وإنما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره.... فقال له الحسين: «جزاك الله خيراً يا ابن عم، فقد والله علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن»(١).

وكتب إليه عبد الله بن جعفر بعد خروجه من مكة - كما فى تاريخى الطبرى وابن الاثير وغيرهما :- أما بعد، فاني أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابى هذا، فاني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإن هلك اليوم طفء نور الارض، فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير، فاني فى أثر كتابى، والسلام.

(١) تاريخ الطبرى ٥ / ٣٨٢، الكامل فى التاريخ ٤ / ٣٧.

ص: ١٢٢

وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد - وهو عامل يزيد يومئذ بمكة - فقال له: اكتب للحسين كتاباً تجعل له الامان فيه، وتمنيّه فيه البرّ والصلة واسأله الرجوع، ففعل عمرو ذلك وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد وعبد الله بن جعفر، فلحقاه وقرأ عليه الكتاب وجهداً أن يرجع، فلم يفعل(١).

وقال له عبد الله بن مطيع إذ إجتمع به فى الطريق على بعض مياه العرب - كما فى تاريخ الطبرى وغيره -: أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الاسلام أن تنتهك، أنشدك الله فى حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنشدك الله فى حرمة العرب، فو الله لئن طلبت مافى أيدي بنى أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك، وحرمة قریش، وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرّض لبنى أمية، قال: فأبى إلا أن

(١) تاريخ الطبرى ٥ / ٣٨٨، الكامل فى التاريخ ٤ / ٤٠.

ص: ١٢٣

يمضى(١)، إنجازاً لمقاصده السامية.

ولقيه أحد بنى عكرمة بطن العقبة - كما فى تاريخ الطبرى وغيره - فقال له: أنشدك الله لما انصرفت، فوالله لا تقدم إلا على الاسنة وحد السيوف، فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الاشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التى تذكرها فأنى لا أرى لك أن تفعل، قال: فقال له: «يا عبد الله، إنه ليس يخفى علىّ، الرأى ما رأيت، ولكن الله لا يُغلب على أمره» (٢).

ولقيه بعض بنى تميم قريباً من القادسية - كما فى تاريخ الطبرى وغيره - فقال له: إرجع، فإنى لم أدع لك خيراً أرجوه.

وكان قد لقيه الفرزدق بن غالب الشاعر فى الصفاح - كما فى تاريخ الطبرى وغيره - فقال له: قلوب الناس معك

(١) تاريخ الطبرى ٥ / ٣٩٥.

(٢) تاريخ الطبرى ٥ / ٣٩٩.

ص: ١٢٤

وسيوفهم مع بنى أمية (١).

وما التقى فى الطريق بأحد إلا التمسّه على الرجوع، إشفافاً عليه من لؤم بنى أمية وغدر أهل العراق، وما كان ليخفى عليه ماظهر لاغلب الناس، لكنه وهؤلاء كما قيل: أنت بواد والعذول بوادى.

ما نزل بأبى وأمى منزلاً ولا ارتحل منه - كما فى الارشاد وغيره - إلا ذكر يحيى بن زكريا وقتله.

وقال يوماً: «من هوان الدنيا على الله إن رأس يحيى بن زكريا أهدى إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل».

فهل تراه أراد بهذا غير الاشارة إلى أن سبيله فى هذا الوجه إنما هو سبيل يحيى (عليه السلام)؟!!

وأخبره الاسديان وهو نازل في الثعلبية - كما في تاريخ الطبرى وغيره - بقتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة، وأنهما يجران بأرجلهما فى الاسواق بلا نكير(٢).

(١) تاريخ الطبرى ٥ / ٣٨٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٥ / ٣٩٧.

ص: ١٢٥

فهل يمكن بعد هذا أن يبقى له أمل بنصرة أهل الكوفة، أو طمع فى شيء من خيرهم؟! والله ما جاءهم إلاّ يائساً منهم، عالماً بكل ما كان منهم عليه.

وقد كتب وهو نازل بزبالة كتاباً قرىء بأمره على الناس وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فانه قد أتانا خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبد الله بن بقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فليصرف ليس عليه منا ذمام».

قال محمد بن جرير الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك: ففرق الناس عنه تفرقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقى فى أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة.

قال: وإنما فعل ذلك، لانه ظنّ إنما اتبعه الاعراب، لانهم ظنوا أنه يأتى بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلاّ وهم يعلمون علامَ يقدمون.

قال: وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد

ص: ١٢٦

مواساته والموت معه (١).

وذكر أهل الاخبار: إن الطرماح بن عدى لما اجتمع به فى عذيب الهجانات دنا منه فقال له - كما فى تاريخ الطبرى وغيره -: والله إننى لآنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك - يعنى: الحر وأصحابه - لكان كفى بهم، وقد رأيتُ قبل خروجى من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس مالم تر عيناي فى صعيد واحد جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم؟ فقيل: اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحوا إلى حرب الحسين، فأنشدك الله إن قدرت على أن لا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت، فان أردت أن تنزل بلدأ يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذى يدعى أجأ، امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الاسود والاحمر، والله ما دخل

(١) تاريخ الطبرى ٥ / ٣٩٨ - ٣٩٩.

ص: ١٢٧

علينا فيه ذل قط، فأسير معك حتى أنزلك القرية، ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجأ وسلمى من طيئ، فوالله لا يأتى عليك عشرة أيام حتى تأتيتك طيئ رجالاً وركباناً، ثم أقم فينا ما بدا لك، فان هاجك هيح فأنا زعيم لك بعشرين الف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف، فقال له: «جزاك الله وقومك خيراً» (١)، وأبى أن ينصرف عن مقصده.

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ رَغْبَةٌ فِي غَلْبَةِ أَوْ مِيلٍ إِلَى سُلْطَانٍ لَكَانَ لِكَلَامِ الطَّرْمَاحِ وَقَعٌ فِي نَفْسِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَلَظَهَرَ مِنْهُ الْمِيلُ إِلَى مَا عَرَضَهُ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ - بِأَبَى وَأُمَى - أَبِي إِلَّا الْفَوْزَ بِالشَّهَادَةِ، وَالْمَوْتَ فِي إِحْيَاءِ دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِيمَا تَمَثَّلَ بِهِ، إِذْ قَالَ لَهُ الْحَرُّ: أَذْكَرَكَ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ فَأَنْتَى أَشْهَدُ لَثْنٍ قَاتَلْتَ لِتَقْتُلَنِي، فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - كَمَا

(١) تَارِيخُ الطَّبْرِى ٥ / ٤٠٦، وَتَكْمِلَةُ الْحَدِيثِ: «إِنَّهُ قَدْ كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قَوْلٌ لَسْنَا نَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى الْإِنْصِرَافِ، وَلَا نَدْرِي عَلَامَ تَنْصَرِفُ بِنَا وَبِهِمُ الْأُمُورُ فِي عَاقِبَتِهِ».

ص: ١٢٨

فِي تَارِيخِ الطَّبْرِى وَغَيْرِهِ -

سَأْمَضَى وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا مَا نَوَى حَقًّا وَجَاهِدَ مُسْلِمًا
وَأَسَى الرِّجَالِ الصَّالِحِينَ بِنَفْسِهِ وَفَارَقَ مَثْبُورًا يَغُشَّ وَيُرْغَمَا (١)
(وَحَسِبَكَ فِي إِبْطَاتِ عِلْمِهِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ بِمَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ حَالُهُ مَا سَمِعْتَهُ مِنْ:

إِخْبَارِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِقَتْلِهِ فِي شَاطِئِ الْفَرَاتِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ كَرْبَلَاءَ.

وَبَكَائِهِ عَلَيْهِ.

وَنَدَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمَّا حَازَى نَيْنَوَى وَهُوَ مُنْصَرِفٌ إِلَى صَفِينٍ: «صَبْرًا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، صَبْرًا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِشَاطِئِ الْفَرَاتِ».

وَقَوْلِهِ إِذْ مَرَّ بِكَرْبَلَاءَ: «هَاهُنَا مَنَاخُ رُكَابِهِمْ، وَهَاهُنَا

ص: ١٢٩

موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم».

وقول الحسين (عليه السلام) لآخيه عمر: «حدثني أبي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته».

وقول الحسن للحسين (عليهما السلام) - كما في أمالي الصدوق وغيره - من جملة كلام كان بينهما: «ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبى ذراريك ونسائك وانتهاك ثقلك، فعندها يحل الله بنى أمية اللعنة».

إلى غير ذلك من الاخبار الدالة على أن قتل الحسين (عليه السلام) كان معروفاً عند أهل البيت منذ أخبر الله به نبيه (صلى الله عليه وآله)، بل صريح أخبارنا أن ذلك مما أوحى إلى الانبياء السابقين (١)، وقد سمعت ما أشرنا إليه من بكائهم (عليهم السلام).

ويظهر من بعض الاخبار أن قتل الحسين كان معروفاً

ص: ١٣٠

عند جملة من الصحابة والتابعين، حتى أنهم ليعلمون أن قاتله عمر بن سعد.

وحسبك ما نقله ابن الاثير، حيث ذكر مقتل عمر بن سعد في كامله، عن عبد الله بن شريك، قال: أدرك أصحاب الاردية المعلمة وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواري، إذ مرّ بهم عمر بن سعد، قالوا: هذا قاتل الحسين، وذلك قبل أن يقتله.

قال: وقال ابن سيرين: قال علي لعمر بن سعد: «كيف أنت إذا قمت مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار، فتختار النار» (١).

أترى الحسين (عليه السلام) كان جاهلاً بما عليه أصحاب السواري؟ كلاً والله ما علم أصحاب البرانس السود ذلك إلاّ منه، أو من أخيه، أو من جدّه، أو من أبيه.

وقد أطلنا الكلام في هذا المقام، إذ لم نجد من وفاه حقه وخرج من عهدة التكليف بإيضاحه، والحمد لله على التوفيق لتحرير هذه المسألة، وتقرير شواهدا وأدلتها، على وجه تركز النفس إليه، ولا يجد المنصف بدءاً من البناء عليه، بل لا أظن أحداً يقف على ما تلوناه ثم يرتاب فيما قررناه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته